تفسير سورة القدر

(دراسة تحليلية)

دكتورة

مهجة غالب عبد الرحمن

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ـ جامعة الأزهر

الناشر

مكتبة ومطبعة الغد

للطبع والنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــة

الحمد لله رب العالمين أحمدك يا الله حمداً يليق بكمال وجـــهك وعظيم سلطانك وأصلى وأسلم على سيدنا رسول الله محمـــــد بـــن عبد الله وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهديــــه صـــلاة طيبـــة مباركة إلى يوم الدين ٠

وبعد ،،،،

فإن القرآن الكريم هو دستور الأمة الخالد وهو طريق الهدايـــة والخروج للبشرية من الظلمات إلى النور ، السير على نهجه هدايـــة وكرامه ، والبعد عنه خزى وندامة فى الدنيا والأخرة ، وصـــدق الله العظيم إذ يقول " كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلـــى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد " [١] ٠

وإذا كانت البشرية فى حاجة إلى القرآن الكريم أكثر من حاجـة الجسد إلى الروح فإن الحاجة إلى التفسير تعظيم بعظم الحاجة إلـــى القرآن ، وكيف لا وهو العلم الذى اهتم العلماء من خلاله بتفســـير وتوضيح وتحليل آيات القرآن الكريم ومحاولة الوقوف على ما جاء فيها من نهج وهداية ، فعلم التفسير من أفضل العلوم وأشرفها قـدراً

---

(١) الآية رقم (١) من سورة إبراهيم ٠

، فهو علم يبحث فى كتاب الله ﷻ ، كتاب من حفظه وعرف معانيه ، وفهم أحكامه وتدبر أوامره ونواهيه وعمل بكل ما جاء فيه نجا وفاز بخير الدارين .

وسورة القدر من السور القصار فهى خمس آيات ، ولكنها سورة عظيمة تحمل معان كريمة ، تحمل بشرى لليلة عظيمة ، ليلة منه وبركة ، ليلة نزول أول نجم قرآنى للبشرية ، ليلة مفضلة مشرفة مكرمه على سائر ليالى العام بل وعلى سائر ليالى شهر رمضان .

وقد منَّ علىَّ المولى ﷻ بنعمة العيش فى شهر رمضان مع سورة القدر التى تتحدث عن ليلة القدر ، فعلمت عن هذه الليلة ما كنت أجهله ، لذا أدعوا الله أن يكون علمى هذا عبادة فى هذا الشهر الكريم وأن يقبله ﷻ وأن ينصرنى به فهو نعم المولى ونعم النصير .

وقد اشتمل بحثى هذا على مقدمة وتمهيد أوضحت فيه معنى السورة ، وأقوال العلماء حول مكية السورة ومدنيتها ، وبيان اسمها ووجهة تسميتها به ، وعدد آياتها وكلماتها وحروفها ومناسبتها لما قبلها وما بعدها مع بيان معنى المناسبة ، وسبب نزولها وبيان فوائد أسباب النزول ثم الشرح التحليلى لآيات السورة الكريمة .

مبتدأةً أولاً : بتفسير البسملة ، وبيان اشتقاق كلمة (بسم) ، ومتعلق الجار والمجرور ، ومناسبة الجمع بين البسملة ولفظ الجلالة (الله) وبين صفتى (الرحمن ، الرحيم) ، ثم إعرابها ، ونزول البسملة ، وقرآنيتها وفوائدها .

ثانياً : تفسير الآية الأولى وهى قوله تعالى :

﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر** ﴾ بيان المراد ب (إنـــا) ، ومعنـــى النزول وبيان التنزيلات الثلاثة للقرآن الكريم وحكم نزول القرآن منجماً وأقوال العلماء فى عودة الضمير (نا) ثم بيان معنى القـــدر وســـبب تسمية هذه الليلة به ، وتحديد وقت هذه الليلة ، مع بيان الحكمـــة مـــن إخفاء وقتها ، وعلاماتها مع استحباب كتمانها لمـــن رآهـــا وبيـــان أن الخصام كان سبباً لرفع تعيين الليلة وفصلها ، وخير دعاء فيها ٠

ثالثا : تفسير الآية الثانية وهى قوله تعالى ﴿ **ومـــا أدراك مـــا ليلة القدر** ﴾ بيان معنى قوله تعالى ﴿ **وما أدراك** ﴾ مع بيان دلالـــة الاستفهام فى قوله ﴿ وما أدراك ﴾ ٠

رابعاً : تفسير الآية الثالثة قوله تعالى : ﴿ **ليلة القدر خير مـــن ألف شهر** ﴾ بيان الخيرية ، وكيفية استواء عبادة ليلة واحدة بعبـــادة ألف شهر ، والحكمة من إظهار ﴿ **ليلة القـــدر** ﴾ فـــى المواضـــع الثلاثة ، ثم الإعراب ٠

خامساً : تفسير الآية الرابعة وهـــى قولـــه تعـــالى :﴿ **تـــنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر** ﴾ بيان فائدة التعبـــير بالفعل المضارع (تنزل)، وأصل كلمة (تنزل) وأقوال العلمـــاء فى مكان نزول الملائكة ، وسبب نزولهم إلـــى الأرض ، وأقـــوال العلماء فى المراد بالروح ، وعصمة الملائكة وبيان المراد بـــالإذن فى الآية ، وحكمة التقييد بالإذن ، ووجه تنزيل الملائكة ، وأقـــوال العلماء فى (من) ٠

سادساً : تفسير الآية الخامسة وهى قوله تعالى : ﴿ سلام هـــى حتى مطلع الفجر ﴾ ٠

فبينت إعرابها ، ومعنى قوله تعالى : (سلام) ، وبيان معنى (سلام هى) ـ والمقصود من الغاية فى قوله تعالى **﴿ حتى مطلع الفجر ﴾** ثم بيان القراءة فى (مطلع) .

سابعا : بيان الوجوه البلاغية فى السورة ، وتوضيح أغراضها ثم المعنى الإجمالى لها .

ثم الخاتمة وقد اشتملت على أهم نتائج البحث ، ثم فهرسة المراجع مرتبة ترتيبا ابجديا .

وقد التزمت فى منهجى بالدراسة التحليلة مشتملة على توضيح المعانى اللغوية ، والقراءات إن وجدت ، مع ذكر وجوه الإعراب ، ثم التفسير التحليلى للآيات مع عرض أقوال العلماء وإسناد كل قول لقائله مع الترجيح أو التوفيق إن أمكن ذلك .

واعتمدت فى هذا على المراجع الأصلية من كتب التفسير وعلوم القرآن ، والحديث وعلومه ، وشروح الكتب المعتمدة ، وكتب أسباب النزول ، وكتب اللغة وغير ذلك .

اسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل عملى هذا مقبولا فى الدنيا والآخرة .

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تمهيد

بين يدى السورة

أولاً : معنى السورة :

ثانياً : أقوال العلماء حول مكية السورة ومدنيتها ٠

ثالثاً : اسمها ووجهة تسميتها به ٠

رابعاً : عدد آياتها وكلمتها وحروفها ٠

خامساً مناسبتها لما قبلها وما بعدها ٠

ـــ معنى المناسبة فى اللغة ٠

ـــ فوائد معرفة المناسبة ٠

ـــ مناسبتها لسورة العلق ٠

ـــ مناسبتها لسورة البينة ٠

سادساً : سبب النزول ٠

ـــ فوائد معرفة أسباب النزول ٠

ـــ سبب نزول السورة ٠

بين يدى السورة

أولاً : معنى السورة :

السورة هى : طائفة مستقلة من آيات القــرآن الكريــم ، ذات مطلع ومقطع ، وهى مأخوذة من سور المدينة ، لما فيها من وضــع كلمة بجانب كلمة ، وآية بجانب آية كالسور توضع كل لبنـــة فيــه بجانب لبنة ، ويقام كل صف فيه على صف .

وقيل سميت الطائفة من الآيات سورة لإرتفاع رتبتها ومنزلتــها كارتفاع السور [١] .

وقد قسم العلماء سور القرآن الكريم إلى أربعة أقسام ، خصــوا كل قسم منها باسم معين وهى : الطــوال ، والمئيــن ، والمثــانى، والمفصل .

وتعد سورة القدر : من المفصل الذى قسمه العلماء إلى ثلاثـــة أقسام : طوال ، وأوساط ، وقصار .

وتعد سورة القدر : من أواسط السور التى تبدأ من أول ســورة (الطارق) إلى نهاية سورة (لم يكن) [٢] .

---

(١) أنظر لسان العرب ج ٦ ص ٤٢٧ ومناهل العرفــان للإمــام الزرقــانى ج ١ ص٣٥٠ .

(٢) أنظر مناهل العرفان ج ١ ص ٣٥٢ .

ثانياً : أقوال العلماء حول مكية السورة ومدنيتها :

ذكر الإمام الزركشى [١] سورة القدر عند حديثه عن أول مـــا نزل من القرآن بمكة ، وجعلها السورة الخامسة والعشرون [٢] عنـد ترتيبها على حسب النزول ٠

وذكر أن هذا الترتيب استقرت عليه الرواية من الثقات وعـــدد السور التى نزلت بمكة وهى خمس وثمانون سورة ٠

وقد نقل الإمام السيوطى فى الإتقان [٣] أقوالاً كثيرة فى تعييـــن السور المكية والمدنية ، من أوفقها ما ذكره أبو الحسن الحصار فى كتابه الناسخ والمنسوخ ٠ إذ يقول : " المدنى باتفاق عشرون ســورة والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة ، وما عدا ذلك مكى باتفاق " ٠

ثم عد سورة " القدر " من السور الاثنتـــــى عشـــرة المختلــف فيها ٠

ـ وذكر الماوردى أن سورة القدر مكية ٠

ـ وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس وإبن الزبير وعائشة أنها نزلت بمكة ـ وذكر الإمام البغوى أنها مكية [٤] ٠

---

(١) انظر البرهان فى علوم القرآن للإمام الزركشى ج ١ ص ٢٤٩ ٠

(٢) وقد عدها جابر بن زيد الخامسة والعشرين فى ترتيب نـــزول الســـور انظـــر التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٤٥٥ ٠

(٣) انظر الإتقان ج ١ ص ٢٧ ، ٢٨ ، مناهل العرفان نقلا عن الإمام الســـيوطى فى الإتقان ج ١ ص ١٩٨ ٠

(٤) تفسير البغوى ج ٤ ص ٤٧٧ ٠

ـ وذكر الإمام ابن عاشور [١] عن ابن عباس قول الجمـــــهور بأن السورة مكيه • وكذلك فى البحر المحيط [٢] •

ـ وقال الثعلبى إن ســـورة القـــدر مدنيـــة فـــى قـــول أكـــثر المفسرين •

ـ وذكر الواقدى أنها أول سورة نزلت بالمدينة •

ـ وقد قرر الإمام القرطبى [٣] مدنيتها وأن ذلك قـــول أكـــثر المفسرين •

ـ وذكر الإمام ابو حيان [٤] السورة مدنية •

ـ وفى الإتقان قولان [٥] " والأكثر أنها مكية ويستدل لكونـــها مدنية بما أخرجه الترمذى والحاكم عن الحسن بن على أن النبى ﷺ رأى بنى أمية على منبره ، فساءه ذلك فـــنزلت ﴿ **إنـــا أعطينـــاك الكوثر** ﴾ [٦] •

---

(١) التحرير والتنوير م ١٥ ج ٣٠ ص ٤٥٥ •

(٢) البحر المحيط م ٣٣ ج ١٠ ص ٥١٣ •

(٣) أحكام القرآن للإمام القرطبى ج ٢٠ ص ١٢٩ •

(٤) تفسير أبو حيان م ٣٣ ج ١٠ ص ٥١٣ وانظر تفســير روح المعــانى ج ٣٠ ص ١٨٨ •

(٥) الإتقان ج ١ ص ٣٦ •

(٦) سورة الكوثر •

ونزلت ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القــدر ...** ﴾ الحديــث [١] قــال المزى : وهو حديث منكر ٠

ــ ويرجح الإمام الواقدى مدنيتها لأن المتبادر أنــــها تتضمـــن الترغيب فى إحياء ليلة القدر ، وإنما كان ذلك بعد فرض رمضـــان بعد الهجرة [٢] ٠

وقال الإمام أبو السعود [٣] سورة القدر مكية مختلف فيها ٠

ــ وجاء فى روض الأزهار [٤] أنها مدنية على الأرجح حتـــى ذكر الواحدى أنها أول سورة نزلت بالمدينة ٠

كما فى تفسير الخطيب [٥] ، ورجح بعضهم أنها مكية ٠

---

(١) أخرجه الإمام الترمذى ج ٥ ص حديث رقم ٣٤٠٨ من ســـورة ليلـــة القــدر ص١١٥ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجـــه من حديث القارسم بن الفضل ٠
وأخرجه الحاكم فى المستدرك ، كتاب معرفة الصحابة ، باب معاتبة رجـــل الحسن فى أمر الخلافة وجوابه ج ٣ ص ١٧٠ ــ ١٧١ وقال : هـــذا إسـناد صحيح ، وهذا القائل للحسن بن على هذا القول هو سفيان بن الليل صــــاحب أبيه ، ووافقه الزهبى وقال صحيح ، وقد ذكر فى باب إخبار النبى ﷺ بـــأن الحسن يصلح بين فئتين من المسلمين ج ٣ ص ١٧٥ ، وسكت عنه الحـــاكم والزهبى ٠

(٢) انظر التحرير والتنوير م ١٥ ج ٣٠ ص ٤٥٥ ٠

(٣)تفسير أبى السعود ج ٩ ص ١٨٢ ٠

(٤)مخطوط روض الأزهار فى الكلام على سورة القدر المشرفة بالأنوار للشـــيخ عبد الحافظ على ص ٣ ٠

(٥) الخطيب الشربينى ج ١ ص ١١ ٠

ثم ذكر لنا إمكانية التوفيق بين الآراء السابقة ·

حيث إن الآراء انقسمت إلى قسمين :

١ــ فريق يرجح كون السورة مكية ·

٢ــ وفريق آخر يرجح كونها مدنية ·

فلعل المولى ﷻ أمر بتكرار نزول السورة فمرة نزلت فى مكة وأخرى فى المدينة ، وتكرار نزولها يبين لنا مزيد شرف ليلة القدر ومكانتها وفضلها ومما يرجح ذلك ما ذكره الإمام السيوطى فى الإتقان [١] بتصريح جماعة من المتقدمين والمتأخرين ، بأن من القرآن ما تكرر نزوله وقال قد يتكرر نزول الآية تذكيراً وموعظة ·

وذكر الإمام الزركشى فى البرهان [٢] : قد ينزل الشئ مرتين تعظيماً لشأنه ، وتذكيراً عند حدوث سببه خوف نسيانه ·

والله أعلم ·

---

(١) انظر الإتقان ج ١ ص ١٠٢ النوع الحادى عشر ما تكرر نزوله ·

(٢) البرهان ج ١ ص ٢٩ ، ٣٠ ·

ثالثاً : اسمها ووجهة تسميتها به :

قد يكون للسورة اسم واحد ، وهو كثير وقد يكون لها اسمان فأكثر .

يقول الإمام الزركشى [١] : " ينبغى النظر فى اختصاص كل سورة بما سميت به ، ولا شك أن العرب تراعى فى كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون فى الشئ من خلق أو صفة تخصه ، أو يكون معه أحكم أو أكثر أو سبق لإدراك الرأى للمسمى ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها ، وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن " .

وسورة القدر سميت فى المصاحف ، وكتب التفسير وكتب السنة " سورة القدر " .

وسماها ابن عطية فى تفسيره [٢] ، وأبو بكر الجصاص فى أحكام القرآن [٣] " سورة ليلة القدر " .

وجهة تسميتها بهذا الإسم .

من المعلوم أن السورة تتحدث عن الليلة ، والليلة التى نزل فيها القرآن الكريم إلى السماء الدنيا وقد سماها المولى ﷻ ليلة القدر فلعظم هذه الليلة ومكانتها وفضها سميت السورة باسمها .

---

(١) انظر البرهان ج ١ ص وذكر فى الإتقان نقلاً عن الزركشى ج ١ ص١٦٠ .

(٢) تفسير ابن عطية ج٥ ص ٥٠٤ .

(٣) تفسير الإمام الجصاص المسمى أحكام القرآن ج ٣ ص ٤٧٣ .

رابعاً : عدد آياتها وكلماتها وحروفها :

عدد آيات سورة القدر خمس فـــى العـــد المدنـــى والبصـــرى والكوفى ، وست فى العدّ المكى والشامى [1] .

وقال الإمام الخطيب [2] ، وهى خمس آيات وثلاثـــون كلمـــة ومائة واثنا عشر حرفاً [3] .

خامساً : المناسبـــــــــــة :

علم المناسبة من أشرف العلوم قدراً ، يعرف به قدر القائل فيما يقول .

والمناسبة فى اللغة [4] : هى المقاربة ، وفلان يناسب فلانـــاً ، أى يقرب منه ويشاكله .

ومنه النسيب : الذى هو القريب المتصل : كالأخوين وابن العم ونحوه ؛ وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما ، وهو القرابة .

---

(١) انظر فتح القدير ج ٥ ص ٤٧١ ، تفسير القاسمى ج ١٧ ص ٦٢١٩ وتفســير البحر المحيط م ٣٣ ج ١٠ ص ٥١٣ . تفســير الألوســى ج ٣٠ ص ١٨٨ وتفسير البغوى ج ٤ ص ٤٧٧ .التفسير الواضح ص ٧٦ .

(٢) تفسير الخطيب الشربينى ج ٤ ص ٥٦٤ ، ٥٦٥ .

(٣) انظر مخطوط روض الأزهار فى الكلام على سورة القدر للشيخ عبد الحـــافظ ص ٣٠ .

(٤) انظر لسان العرب ج ٤ ص ١١٨ ، ١١٩ .

ومنه المناسبة فى فواتح الآى وخواتمها ؛ ومرجعها ـ والله أعلم ـ إلى معنى ما ربط بينهما : عام أو خاص ، عقلى أو حسى أو خيالى ؛ وغير ذلك من أنواع العلاقات ، أو التلازم الذهنى : كالسبب والمسبب ، والعلة والمعلوم والنظيرين ، والضدين ونحوه ٠

أو التلازم الخارجى ؛ كالمرتب على ترتيب وجود الواقع فى باب الخير ٠

ولمعرفة المناسبة فائدة عظيمة فهى تجعل الكلام وحدة مترابطة كالبناء الواحد المحكم فيقوى بذلك الارتباط ، وممن اعتنى بهذا العلم الإمام فخر الدين الرازى فقد قال : أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط وقال البعض : من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ، لئلا يكون منقطعاً ٠

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام (١) : المناسبة علم حسن ولكن يشترط فى حسن ارتباط الكلام أن يقع فى أمر متحد مرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر ٠

---

(١) هو : عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسن السلمى الدمشقى ٠ عز الدين المقلب بسلطان العلماء : فقيه شافعى بلغ رتبة الاجتهاد ، ولد ونشأ بدمشق سنة ٥٧٧هـ وتوفى سنة ٦٦٠هـ ٠ من كتبه " التفسير الكبير " و " الإلمام فى أدلة الأحكام " و " قواعد الشريعة " و " الفوائد " و " قواعد الأحكام فى إصلاح الأنام " و " بداية السول " وغير ذلك ٠ انظر : طبقات السبكى ج٥/ ٨٠ والنجوم الزاهرة ج ٧ / ٢٠٨ ومفتاح السعادة ج ٢ / ٢١٢ والأعلام ج ٤ / ٢١ ٠

ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه ، إلا بربط ركيك يصان عنه حَسَن الحديث فضلاً عن أحسنه ، فإنه القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة ؛ وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض ؛ إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلْقه وأحكامه بعضها ببعض ؛ مع اختلاف العلل والأسباب كتصرف الملوك ،والحكام ، والمفتين ، وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ، ومتخالفة ، ومتضادة .

وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض مع اختلافها في نفسها ، واختلاف أوقاتها (١) :

ويقصد الشيخ عزالدين ابن عبد السلام ، أن الكلام الحسن هو المترابط المتحد ، وهو بعكس الكلام المفكك الذي لا يفهم منه المقصد ولا ينم على شخصية متزنه .

والقرآن الكريم : هو كلام الله فهو أحسن الكلام لذلك لا يحق لنا أن نتكلف في ربط آياته بعضها ببعض أو ربط سورة بعضها ببعض .

وأعتقد أنه يقصد أن يقول إن المناسبة قد تكون واضحة لنا سواء كانت بين الآيات أو بين السور . وقد تكون خفيه وهنا لا داعي للتكلف في الربط .

---

(١) انظر البرهان ج ١ ص ٦٣ ، والإتقان ج ٣ ص ٣٢٣ .

وكون ترتيب السور توقيفي أى لا دخـــل لســـيدنا جـــبريل و لا لسيدنا رسول الله ﷺ فيه نجد أن افتتاح كل سورة فى غاية المناسبة بينها وبين ختام السورة التى تسبقها .

وإذا أمعنا النظر فى الآيات فسنجدها إما أن تكون مكملة لمعنى الآية التى قبلها أو مستقلة عنها .

ومعرفة المناسبات والربط بين الآيات ليس أمراً توفيقياً ، ولكنه يعتمد على اجتهاد المفسر ومبلغ تذوقه لإعجـــاز القـــرآن الكريـــم وقدرته على معرفة أسراره البلاغية وأوجه بيانه الفريد ، فإذا كانت المناسبة دقيقة المعنى ومتناسبة معه غير مخالفة له ولا إلى أصـــول اللغة العربية التى نزل بها القرآن كانت مقبولة مـــأجورة إن شـــاء الله .

وقد صنف فى هذا العلم الكثير من العلماء بل وأفرد له بعـــض العلماء كتاباً مستقلاً منهم الشيخ أبو جعفر أحمد بن إبراهيـــم بـــن الزبير الأندلسى النحوى الحافظ المتوفى سنة ٨٠٧هـ فـــى كتـــاب سماه " البرهان فى مناسبة ترتيب سور القرآن " ، والشيخ برهـــان الدين البقاعى فى كتاب سماه " نظم الـــدرر فـــى تناســـب الآيـــات والسور " ، وقد أفرد له الإمام الزركشى فى كتابه البرهان مبحثـــاً خاصاً .

وليس معنى ذلك أن يتكلف المفسر فى الربط بين الآية ولأيـــة أو السورة والسورة ، فقد يدركها وقد لا يدركها وهذا ما أشار إليـــه الشيخ عز الدين بن عبد السلام وقد ذكرناه سالفاً .

ومن لطائف ما قيل فى مناسبة سورة القدر لمـــا قبلـــها وهـــى سورة العلق ما يأتى : ـ

١ـ قال الخطابى : لما اجتمع أصحاب النبى ﷺ علـــى القـــرآن ، ووضعوا سورة القدر عقب سورة العلق ، استدلوا بذلك علـــى أن المراد بهاء الكتابة فى قوله : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر** ﴾ الإشارة إلى قوله : (اقرأ) ٠

ويضيف صاحب البحر المحيط [1] كأنه قال : اقرأ ما أنزلنـــاه عليك من كلامنا ٠

وقال الإمام الألوسى [2] : ووجه مناســبتها لمـــا قبلـــها أنـــها كالتعليل للأمر بقراءة القرآن المتقدم فيه كأنه قيل اقرأ القـــرآن لأن قدره عظيم وشأنه فخيم ٠

وقد اختاره الإمام ابن العربى [3] وقال عنه : إن هـــذا بديـــع جداً ٠

٢ـ مناسبة أخرى ذكرت بين سورة العلق وسورة القدر وهى أنـــه تعالى لما ختم سورة العلق بالأمر بالسجود والاقتراب من الله ، وكان المقصود من الاقتراب : التعرض للرحمة الفائضة مـــن الله على المصلى ، والصلاة لا تكون إلا بقرآن ، ذكر فـــى أول

---

(١) انظر البحر المحيط لأبى حيان م ٣٣ ج ١٠ ص ٥١٣ ٠

(٢) انظر تفسير روح المعانى للإمام الألوسى ج ٣٠ ص ١٨٨ ، ١٨٩ ٠

(٣) انظر أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ٤٢٨ ٠

هذه السورة أن القرآن رحمة فى ذاته ، ورحمة فـــى الزمـــان الذى نزل فيه وهو ليلة القدر التى تتنزل الملائكة فيها بـــالروح والسلام على الكون [١] .

مناسبة سورة القدر بما بعدها وهى سورة البينة :

يقول الإمام السيوطى إن سورة " لم يكن " واقعة موقع العلـــة لسورة " القدر " .

كأنه لما قال سبحانه : ﴿ **إنا أنزلناه** ﴾ قيل : لم أنزل ؟ فقيـل : لأنه لم يكن الذين كفروا منفكين عم كفرهم ، حتى تأتيـــهم البينـــة ، وهو رسول من الله يتلو صحفا مطهرة . وذلك هو المنزل .

وقد ثبتت الأحاديث بأنه كان فى هذه السورة قرآن نسخ رســمه، وهو : إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، ولو أن لابـــن آدم واديا لا ابتغى إليه الثانى ، ولو أن له الثـــانى لا ابتغـــى إليـــه الثالث ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على مـــن تاب [٢] .

وبذلك تشتد المناسبة بين سورة البينة وسورة القدر ، حيث ذكر فى " سورة القدر " إنزال القرآن ، وفى البينة إنزال المال ، وتكون

---

(١) انظر أسرار ترتيب القرآن للحافظ جلال الدين الســـيوطى دراســـة وتحقيــق عبد القادر أحمد عطا ص ١٥٤ .

(٢) أخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٤٠ عن أبى واقد الليثى قـــال : قال لنا رسول الله ﷺ :إن الله ﷻ قال : إنا أنزلنا المال .. الحديث ، وعـزاه إلى أحمد والطبرانى وقال رجال أحمد رجال الصحيح .

مسند الإمام أحمـد ج ١ ص ٣٧٠ ، ج ٣ ص ١٦٨ ، ج ٤ ص ٣٦٨ ، ج٥ ص ١١٧ .

السورتان تعليلا لما تضمنته سورة اقرأ ، لأن أولها ذكـــر العلـــم ، وفى أثنائها ذكر المال • فكأنه قيل : إنا لم ننزل المـــال للطغيـــان والاستطالة والفخر ، بل ليستعان به على تقوانا ، وإقامـــة الصـــلاة وإيتاء الزكاة [١] •

سادساً : سبب النزول :

قد اهتم المفسرون فى كتبهم بمعرفة أسباب النزول ، وأفـــردوا فى هذا العلم المصنفات العديدة ، ومن أشهر ما صنف فى هذا العلم الشيخ على بن المدينى ، شيخ الإمام البخارى ، والإمام الواحـــدى والإمام الجعفرى الذى اختصر كتاب الإمام الواحدى بحذف أسـانيده ولم يزد عليه شيئاً •

ثم شيخ الإسلام " ابن حجر " الذى ألف كتاباً فى أسباب النزول أطلع الإمام السيوطى على جزء من مسودته ولم يتيسر له الوقـــوف عليه كاملاً ، ثم " السيوطى " الذى قال عن نفسه : " وقد ألفت فيـــه كتاباً حافلاً موجزاً محرراً لم يؤلف مثله فى هذا النوع ، ســـميته " لباب النقول فى أسباب النزول " [٢] •

ولمعرفة أسباب النزول فوائد عديدة منها :

١ـــ بيان الحكمة التى دعت إلى تشريع حكم مـــن الأحكـــام ، وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة فى علاج الحوادث رحمة بالأمة •

٢ـــ تخصيص حكم ما نزل إن كان بصيغة العموم بالسبب عند مـــن يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ وهى مســـألة خلافية بين العلماء •

---

(١) العلم فى قوله تعالى : ﴿ **علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ والمال فى قولـــه ﴿ **إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى** ﴾ انظر أسرار ترتيب القرآن ص ١٥٥ •

(٢) انظر قول الإمام السيوطى ج ١ ص ٦ • وقد نقلـــه الشـــيخ منـــاع القطـــان ص ٧٥ ، ٧٦ •

٣ـ إذا كان لفظ ما نزل عاماً وورد دليل على تخصيصه فمعرفة السبب تقصر التخصيص على ما عدا صورته ، ولا يصح إخراجها • لأن دخول صورة السبب فى اللفظ العام قطعى ، فلا يجوز إخرجها بالاجتهاد لأنه ظنى ، وهذا هو ما عليه الجمهور •

٤ـ معرفة سبب النزول خير سبيل لفهم معانى القرآن الكريم •

٥ـ الاستفادة من معرفة أسباب النزول فى مجال التربية والتعليم ، فهى السبيل الأفضل لتحقيق الأهداف التربوية فى دراسة القرآن الكريم تلاوة وتفسيراً [١] •

وقد ذكر فى سبب نزول سورة القدر الآتى : ـ

١ـ عن مسلم عن ابن أبى نجيم عن مجاهد قال ذكر النبى ﷺ رجلاً من بنى إسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فتعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ قال : خير من التى لبس فيها السلاح ذلك الرجل [٢] •

٢ـ أخرج ابن جرير [٣] عن مجاهد قال : كان فى بنى إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسى فعمل ذلك ألف شهر ، فأنزل الله ﴿ **ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ ، عملها ذلك الرجل [٤] •

---

(١) انظر مناع القطان ص ٧٦ ، ٨٠ ، ٩٥ •

(٢) انظر أسباب النزول للإمام الواحدى ص ٣٣٩ ، ص ٣٤٠ ، أسباب النزول للإمام السيوطى ص ٢٣٣ ، وتفسير الإمام القرطبى ج ٢٠ ص ١٣٢ •

(٣) تفسير ابن جرير الطبرى ج ٣٠ ص ١٦٧ •

(٤) انظر أسباب النزول للإمام السيوطى ص ٢٣٣ ، وتفسير الإمام الفخر الرازى ج ٣٢ ص ٣٠ •

وقد روى الإمام ابن العربى [1] فى سبب هبة ليلة القدر لأمـــة محمد ثلاث أقوال • ذكر ذلك فى المسألة الأولى وأضـــاف قـول رابع فى المسألة الثانية •

القول الأول : ويعتبر الثالث فى ترتيبنا وهو أن السبب فضـــل من الله ، وهذا السبب لا يتعارض مع ما ذكر سابقاً فى رقـم ١ ، ٢ لأن كل شئ هو عطاء ومنه وفضل من المولى ﷻ للإنسان •

القول الثانى : ويعتبر الرابع فى ترتيبنا وهو أنه ذكر رســـول الله ﷺ يوما أربعة من بنى إسرائيل ، فقال : عبدوا الله ثمانين عاماً لم يعصوه طرفة عين ، فذكر أيوب وزكريا ، وحزقيل ابن العجـوز ويوشع ابن نون ، فعجب أصحاب النبى ﷺ من ذلك ، فأتاه جـبريل فقال : يا محمد : عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لـم يعصوا الله طرفة عين ، فقد أنزل عليك خيراً من ذلك ، ثم قــرأ : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر** ﴾ ، هذا أفضل مما اعجبت أنت وأمتـك منه • قال : فسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ •

القول الثالث : ويعتبر الخامس فى ترتيبنا :

وهو ما قاله مالك فى الموطأ [2] من رواية ابن القاسم وغـــيره عنه :

سمعت من أثق به يقول : إن رسول ﷺ أرى أعمار الأمم قبلـه فكأنه تقاصر أعمار أمته ألاَّ يبلغوا من العمل مثل ما بلـــغ غـيرهم فى طول العمر ، فأعطاه الله ليلة القدر ، وجعلها خيراً مــن ألــف شهر •

---

(١) انظر أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ٤٢٨ •

(٢) الموطأ ١٩ ــ كتاب الاعتكاف ج ١ ص ٣٢١ حديث رقم ١٥ •

وقد قال الإمام ابن عبد البر : هذا أحد الأحاديث الأربعة [١] التى لا توجد فى غير الموطأ ، لا مسنداً ولا مرسلاً ..

ثم قال : وليس منها حديث منكر ، ولا ما يدفعه أصل ٠

القول الرابع : ويعتبر السادس فى ترتيبنا :

ما أخرجه الإمام الترمذى وغيره أن محمود بن غيلان حدثه ، قال : حدثنا أبو داود الطيالسى ، قال : حدثنا القاسم بن الفضل الحُدَّانى ، عن يوسف بن سعد ، قال : قام رجل إلى الحسن بن على بعدما بايع معاوية ، فقال : سوَّدْتَ وجوة المؤمنين – أو يا مسوِّدَ وجوهِ المؤمنين ، فقال : لا تؤنبني رحمك الله فإن النبى ﷺ أرى بنى أميَة على منبره ، فساءه ذلك ، فنزلت : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ ، يعنى نهراً فى الجنة ، ونزلت : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر ٠ وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ ، يملكها بنو أمته ، قال القاسم : فعددناها فإذا هى ألف لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً [٢] ٠

ويقول الإمام الطبرى [٣] : " وأشبه الأقوال فى ذلك بظاهر التنزيل قول من قال عمل فى ليلة القدر خير من عمل ألف شهر

---

(١) الثانى : " إنى لأنسى أو أُنسَىّ لأسنّ " والثالث " إذا نشأت بحرية " والرابع : " قوله لمعاذ : حسن خلقك للناس " ٠ وذكر الحديث فى كتب التفسير مثل : الفخر الرازى ج ٣٢ ص ٣١ ، فتح القدير ج ٥ ص ٤٧٢ وابن العربى ج ٤ ص ٤٢٨ وتفسير القرطبى ج ٢٠ ص ١٣٢ وغيره من كتب التفسير ٠

(٢) صحيح الإمام الترمذى ج ٥ حديث رقم ٣٤٠٨ من سورة ليلة القدر ٠ ص١١٥ ط ٠ دار الفكر ٠

(٣) تفسير الإمام الطبرى ج ٣٠ ص ١٦٧ ، ١٦٨ ٠

ليس فيها ليلة القدر وأما الأقوال الأخرى فدعاوى معان باطلة لا دلالة عليها من خبر ولا عقل ولا هى موجودة فى التنزيل . "

وطعن القاضى فيما ذكر من أن المراد (ألف شهر) فى أيام بنى أمية بعيد ، وعلل ذلك بأن المولى عز وجل لا يذكر فضل ليلة القدر بذكر ألف شهر مذمومة ، وأيام بنى أمية كانت مذمومة .

وقد اعترض عليه الإمام الرازى : وقال : إن هذا الطعن ضعيف ، وذلك لأن أيام بنى أمية كانت أياما عظيمة بحسب السعادات الدنيوية ، فلا يمتنع أن يقول الله إنى : أعطيتك ليلة هى فى السعادات الدينية أفضل من تلك السعادات الدنيوية [1].

وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه [2].

وقد قيل : عن القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن نعرفه والقاسم بن الفضل ثقة ويوسف بن سعد رجل مجهول .

وذكر الإمام القرطبى [3] حديث الإمام الترمذى وقال : حديث غريب .

ويعلق الشيخ ابن عاشور [4] على هذا الحديث قائلا : " ليس فى سنده ما يفيد أن يوسف بن سعد سمع ذلك من الحسن رضي الله عنه .

---

(١) انظر رأى القاضى ورد الإمام فخر الرازى فى ج ٣٢ ص ٣١ .

(٢) الترمذى فى صحيحه ج ٥ ص ١١٥ ، من سورة ليلة القدر من طريق القاسم بن الفضل الحدانى هو ثقة ، وثقة يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدى ، ويوسف بن سعيد رجل مجهول ولا نعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه .

(٣) تفسير القرطبى ج ٣٠ ص ١٣٣ .

(٤) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٣٠ ص ٤٦٠ .

ويقول الإمام الطبرى [1] عن عيسى بن مازن إنه قال : قلت للحسن : يا مسود وجوه المؤمنين إلى آخر الحديث . وعيسى بن مازن غير معروف أصلا فإذا فرضنا توثيق يوسف بن سعد فليس فى روايته ما يقتضى أنه سمعه بل يجوز أن يكون أراد ذكر قصة تُروى عن الحسن .

وقد صرح ابن كثير [2] برأى شيخه المزى أن حذاق العلماء اتفقوا على أنه حديث منكر .

ويقول الإمام ابن عاشور [3] : إن الحديث مختل المعنى وسمات الوضع لائحة عليه ، وهو من وضع أهل النحل المخالفة للجماعة فالاحتجاج به لا يليق أن يصدر مثله عن الحسن مع فرط علمه وفطنته ، وأية ملازمة بين ما زعموه من رؤيا رسول الله ﷺ وبين دفع الحسن التأنيب عن نفسه ، ولاشك أن هذا الخبر من وضع دعاة العباسيين على أنه مخالف للواقع لأن المدة التى بين تسليم الحسن الخلافة إلى معاوية وبين بيعة السفاح وهو أول خلفاء العباسيين ألف شهر واثنان وتسعون شهراً أو أكثر بشهر أو بشهرين فما نسب إلى القاسم الحُدَّانى من قوله : فعددنا فوجدناها .. كذب لا محالة .

وقد قال الإمام الألوسى [4] بعد رد الحديث الوارد فى بنى أمية يقول المزنى هو منكر تردد عندى وأيما كان فقد استشكل وجه دلالته على كون السورة مدنية .

---

(1) انظر تفسير الإمام الطبرى ج ٣٠ ص ١٦٨ .

(2) انظر : تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٢٩ ، ٥٣٠ .

(3) انظر : تفسير ابن عاشور ج ٣٠ ص ٤٦٠ ، ٤٦١ .

(4) انظر : روح المعانى للإمام الألوسى ج ٣٠ ص ١٨٨ .

ومما يدل على ضعف الحديث أنه سيق لذم بنى أمية ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذم أيامهم فإن ليلة القدر شريفة جداً والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بنى أمية التى هى مذمومة بمقتضى هذا الحديث ... ثم الذى يفهم من الآية أن الألف شهر المذكورة فى الآية هى أيام بنى أمية والسورة مكية فكيف يحال على ألف شهر هى دولة بنى أمية ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها ، والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة فهذا كله يدل على ضعف الحديث ونكارته [1].

والحاصل أن هذا الخبر الذى أخرجه الترمذى منكر كما قاله المزنى .

ومما سبق يتضح لنا أن السببان المذكوران عن الإمام الواحدى والإمام السيوطى هما المعتبران فى أسباب النزول وخاصة بعدما تبين لنا رأى العلماء فى الحديث المذكور عند الإمام الترمذى .

والله أعلم بالصواب .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٣٠ .

التفسير التحليلى لسورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ(١)وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ(٢)لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ(٣)تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ(٤)سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ(٥) ﴾

أولاً : تفسير البسملة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

معنى البسملة :

ـ اشتقاق الكلمة (بسم) ٠

ـ متعلق الجار والمجرور ٠

ـ مناسبة الجمع فى البسملة بين لفـظ الجلالـة (الله) وبيـن صفتى (الرحمن الرحيم) ٠

ـ إعرابها ٠

ـ نزول البسملة ٠

ـ قرآنية البسملة ٠

ـ فوائدها ٠

معنى البسملة :

البسملة : هى قول القائل : (بسم الله) ·

والبسملة : كلمة مختصرة من حروف الجملة القرآنية (بسم الله) أو من مركب إضافى كما يقولون (بسم الله) وذلك لقصد التخفيف لكثرة دوران ذلك على الألسنة ·

ومعنى : ﴿ **بسم الله** ﴾ أى أبدأ فعلى أو قولى ببسم الله ، أو مستعينا بالله والبسملة : مصدر من الفعل بسمل يقول الإمام ابن جرير الطبرى [١] : فى قوله تعالى : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ إذا افتتح تالياً سورة ينبئ عن أن مراده بذلك : أقرأ بسم الله ، وكذلك قوله (بسم الله) عند نهوضه للقيام ، أو عند قعوده ، وسائر أفعاله ينبئ عن معنى مراده بقوله : ﴿ **بسم الله** ﴾ وأنه أراد : أقوم بسم الله ، وأقعد بسم الله ، وكذا سائر الأفعال ·

وقد أدب المولى عز وجل نبيه فأحسن تأديبه بأن علمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله ، وجعل ذلك لجميع خلقه سنة يستنون بها ·

أصل اشتقاق كلمة ﴿ **بسم** ﴾ ·

قوله عز وجل : ﴿ **بسم** ﴾ ؛ الإسم : هو اللفظ الذى يدل على ذات من الذوات ، أو على معنى من المعانى ، وقيل ما يعرف به ذات الشئ وأصله ·

---

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبرى ج ١ ص ٥٠ ، ٥٤ ·

وكلمة اسم : على زنة (افع) والأصل فيه سمو بالواو على وزن حمل وجمعه أسماء ، ثم سقطت منه الواو ٠

والباء فى ﴿ بسم ﴾ تسمى باء الملابسة والمصاحبة والالصاق ٠

وهنا يقول الإمام القرطبى [١] تكتب ﴿ بسم الله ﴾ بغير ألف استغناء عنها بباء " الإلصاق " بكثرة الاستعمال بخلاف قوله تعالى : ﴿ إقرأ باسم ربك ﴾ [٢] فإنها لم تحذف لقلة الاستعمال ٠

وللعلماء قولان فى اشتقاق الكلمة (الاسم) : قال الكوفيون : إن الاسم مشتق من الوسم والسمه أى العلامة ٠

وقال البصريون : إن الإسم مشتق من السمو وهو العلو والرفعة لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به أو لأن الإسم يسمو بالمسمى فيرفعه عن غيره ٠

وقد رجح الإمام القرطبى [٣] مذهب البصريين القائل إن أصل الكلمة مشتق من السمو وهو العلو والرفعة ، مستدلا بأن جمع " الإسم " " أسماء " وتصغيره سمى ٠

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٩٩ ، والتفسير الكبير ج ١ ص ٨٣ ٠

(٢) سورة العلق الآية ١ ٠

(٣) انظر تفسير الإمام القرطبى ج ١ ص ١٠٠ وتفسير الإمام النيسابورى ج ١ ص ٦٠ ٠

معنى البسملة :

البسملة : هى قول القائل : (بسم الله) ٠

والبسملة : كلمة مختصرة من حروف الجملة القرآنية (بسم الله) أو من مركب إضافى كما يقولون (بسم الله) وذلك لقصد التخفيف لكثرة دوران ذلك على الألسنة ٠

ومعنى : ﴿ **بسم الله** ﴾ أى أبدأ فعلى أو قولى ببسم الله ، أو مستعينا بالله والبسملة : مصدر من الفعل بسمل يقول الإمام ابن جرير الطبرى [1] : فى قوله تعالى : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ إذا افتتح تالياً سورة ينبئ عن أن مراده بذلك : أقرأ بسم الله ، وكذلك قوله (بسم الله) عند نهوضه للقيام ، أو عند قعوده ، وسائر أفعاله ينبئ عن معنى مراده بقوله : ﴿ **بسم الله** ﴾ وأنه أراد : أقوم بسم الله ، وأقعد بسم الله ، وكذا سائر الأفعال ٠

وقد أدب المولى عز وجل نبيه فأحسن تأديبه بأن علمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله ، وجعل ذلك لجميع خلقه سنة يستنون بها ٠

أصل اشتقاق كلمة ﴿ **بسم** ﴾ ٠

قوله عز وجل : ﴿ **بسم** ﴾ ؛ الإسم : هو اللفظ الذى يدل على ذات من الذوات ، أو على معنى من المعانى ، وقيل ما يعرف به ذات الشئ وأصله ٠

---

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبرى ج ١ ص ٥٠ ، ٥٤ ٠

وكلمة اسم : على زنة (افع) والأصل فيه سمو بالواو على وزن حمل وجمعه أسماء ، ثم سقطت منه الواو .

والباء فى ﴿ بسم ﴾ تسمى باء الملابسة والمصاحبة والالصاق .

وهنا يقول الإمام القرطبى [1] تكتب ﴿ بسم الله ﴾ بغير ألف استغناء عنها بباء " الإلصاق " بكثرة الاستعمال بخلاف قوله تعالى : ﴿ إقرأ باسم ربك ﴾ [2] فإنها لم تحذف لقلة الاستعمال .

وللعلماء قولان فى اشتقاق الكلمة (الاسم) : قال الكوفيون : إن الاسم مشتق من الوسم والسمه أى العلامة .

وقال البصريون : إن الإسم مشتق من السمو وهو العلو والرفعة لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به أو لأن الإسم يسمو بالمسمى فيرفعه عن غيره .

وقد رجح الإمام القرطبى [3] مذهب البصريين القائل إن أصل الكلمة مشتق من السمو وهو العلو والرفعة ، مستدلا بأن جمع " الإسم " " أسماء " وتصغيره سمى .

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٩٩ ، والتفسير الكبير ج ١ ص ٨٣ .
(٢) سورة العلق الآية ١ .
(٣) انظر تفسير الإمام القرطبى ج ١ ص ١٠٠ وتفسير الإمام النيسابورى ج ١ ص ٦٠ .

وأن الجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها ٠

ويقول الزجاج [1] : " ومن قال " : إن " اسما " مأخوذ من " وسمت " فهو غلط لأنا لا نعرف شيئا دخلته " ألف الوصل وحذفت فاؤه أعنى فاء الفعل ٠

والجار والمجرور لابد له من متعلق وليس بمذكور فيكون مقدر ، وأنه يكون فعلا أو اسما فيه رائحة الفعل ٠

وعلى التقديرين ، فإما أن يقدر مقدما أو مؤخرا نحو : أبدأ بسم الله ، أو ابتدائى بسم الله ، أو بسم الله أبتدئ ، او بسم الله ابتدائى أو الابتداء ٠

وتقدير الفعل أولى من تقدير الاسم ، لأن كل فاعل يبدأ فى فعله ببسم الله يكون مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ، فيكون المراد أن إنشاء ذلك الفعل إنما هو على اسم الله فيقدر ههنابسم الله أقرأ أو أتلوا أو أبدأ لأن الذى يتلو التسمية مقروء ومبدوء به ، كما أن المسافر إذا حل وارتحل فقال بسم الله متبركا كان المعنى بسم الله أحل أو أرتحل وكذلك الذابح " [2].

---

(١) انظر معانى القرآن وإعرابه للزجاج ج ١ ص ٢ تحقيق د ٠ عبد الجليل شلبى ٠

(٢) انظر : تفسير الإمام النيسابورى ج ١ ص ٥٨ ، تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد ص ٢٦ ، تفسير الإمام الزمخشرى ج ١ ص وتفسير الإمام الفخر الرازى ج ١ ص ٨٣ ٠

وذكر ابن القيم : لحذف العامل فـــى بســم الله فوائــد عديـدة منها ... أنه موطن لا ينبغى أن يتقدم فيه سوى ذكر الله تعالى فلو ذكرت الفعل وهو لا يستغنى عن فاعلـــه ، كـان ذلـك مناقضـا للمقصود ، فكان فى حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى ليكون المبدوء بـــه اسم الله ، كما تقول فى الصلاة : الله أكبر ، ومعناه : من كل شئ ، ولكن لا تقول هذا القدر ليكون اللفظ مطابقا لمقصود الجنان ، وهـو أن لا يكون فى القلب إلا ذكر الله وحده ، فكما تجرد ذكره فى قلـب المصلى تجرد ذكره فى لسانه .

ومنها : أن الفعل إذا حذف صح الابتداء بالتسمية فى كل عمـل وقول وحركة ، وليس فعل أولى بها من فعل ، فكان الحذف أعـــم من الذكر ، فأى فعل ذكرته كان المحذوف أعم منه " [١].

﴿ **الله** ﴾ : علم على الذات الواجبة الوجود ، المستحق لجميـــع المحامد .

فهو علم على الرب تبارك وتعالى ، وأنه أعـــرف المعـــارف ويقال : إنه الإسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات ... قـــال ابن كثير : " هو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى " [٢].

قال ابن جرير : فإنه على ما روى لنا عن ابن عباس قال : الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين .

---

(١) انظر : قول ابن القيم فى تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الوهـــاب ص ٢٨ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٦ .

اختلاف العلماء فى اشتقاق لفظ الجلالة الله

اختلف العلماء فى لفظ الجلالة ﴿ الله ﴾ هل هو مشتق أو مرتجل أى علم موضوع للذات العلية على مذهبين :

المذهب الأول : القائل بأنه مشتق ولكنهم ... اختلفوا فيما بينهم فى أصل اشتقاقه :

فمنهم من قال : إن أصل اشتقاقه من " أله " بضم الهمزة وكسر اللام إذا عبد ، وهو مصدر بمعنى مألوه أى معبود .

ومنهم من قال : هو مشتق من " ألهت " أى تحيرت إلها ثم حذفت الهمزة وأدخل عليه الألف واللام ، وسمى سبحانه إلها لتحير العقول فى كنه ذاته وصفاته .

وقيل : أصله " ولاه " من الوله لأنه يوله إليه فى الحوائج ، فأبدلوا من الواو المكسورة همزة ، ثم أدخلوا عليه الألف واللام .

وقيل : أصله " لاه " والألف فيه منقلبة عن ياء .

المذهب الثانى : القائل بأن لفظ الجلالة ﴿ الله ﴾ علم للذات العلية غير مشتق وأن الألف واللام فيه أصلية لا يجوز حذفها لأنها من بنية الكلمة .

والدليل على ذلك : دخول حرف النداء على لفظ ﴿ الله ﴾ كقولنا : يا الله ، مع أن حروف النداء لا تجتمع مع الألف واللام للتعريف [1].

---

(١) انظر : تفسير الإمام النيسابورى ج ١ ص ٥٩ ، البحر المحيط ج ١ ص ١٤ تيسير العزيز الحميد ص ٢٩ ، وتفسير القرطبى ج ١ ص ١٠٢ ، تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٦ ، ١٧ ، والبحر المديد ج ١ ص ٢٨ ، ٢٩ .

قال ابن الجوزى [1] : اختلف العلماء فى اسم الله الذى هو ﴿الله﴾ فقال قوم : إنه مشتق ، وقال آخرون : إنه علم ليس بمشتق ونقل عن الخليل روايتان : إحداهما : أنه ليس بمشتق ، والثانية أنه مشتق ...

واشتقاقه من الإلاهة بمعنى العبادة ، أو من التأله بمعنى التعبد أو من الوله : لأن قلوب العباد توله نحوه وتتعلق به .

والقول الصحيح : أن لفظ الجلالة ﴿ الله ﴾ علم على الذات المقدسة وأنه غير مشتق ولا يسمى به أحد غيره وهو مفرد لا يثنى ولا يجمع ولا يجرأ أحد من البشر أن يسمى به أو يسمى به أحد من أبنائه فهو الإسم الأعظم الأوحد لرب الخلق .

يقول الإمام الخازن [2] : ﴿ الله ﴾ هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد به البارى سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولا يشركه فيه أحد ، وهو الصحيح المختار .

دليله قوله تعالى : ﴿ **هل تعلم له سميا** ﴾ [3] يعنى لا يقال لغير الله .

وقد ذكر العلماء الحكمة من قول المولى عز وجل : ﴿ بسم الله ﴾ ولم يقل (بالله) .

---

(١) انظر : زاد المسير لابن الجوزى ج ١ ص ٨ .

(٢) لباب التأويل فى معانى التنزيل للإمام الخازن ج ١ ص ١٣ .

(٣) سورة مريم جزء من الآية ٦٥ .

قيل : الفرق بين ﴿ **بسم الله** ﴾ وبين " بالله " :

١ ــ التفريق بين اليمين والتبرك ٠

٢ ــ بقصد طلب التيسير والعون من الله تبارك وتعالى عدى الفعل المسئول إلى علم الذات باعتبار ماله من صفات الخلق والتكوين كما فى قوله تعالى : ﴿ **فاسجد له** ﴾ [١].

فذكر الاسم لينقطع احتمال إرادة المسمى ، ويتعين حمل الباء على التبرك أو الاستعانة [٢].

وقال : العلماء باستحسان تفخيم اللام وتغليظها من لفظ الجلالة ﴿ الله ﴾ بعد الفتحة والضمة دون الكسرة [٣].

فالأول : وهو تفخيم اللام وتغليظها بعد الفتحة والضمة ٠

ــ للفرق بينه وبين لفظ اللات فى الذكر ٠

ــ وأن التفخيم مشعر بالتعظيم ٠

ــ ولأن اللام الرقيقة تذكر بطرف اللسان ، والغليظة تذكر بكل اللسان ، فكان العمل فيه أكثر ، فيكون أدخل فى الثواب ٠

أما الثانى : فلأن النقل من الكسرة إلى اللام الغليظة ثقيل على اللسان لكونه كالصعود بعد الانحدار وإنما لم يعدوا اللام الغليظة حرفا والرقيقة حرفا آخر كما عدوا الدال حرفا والطاء حرفا آخر

---

(١) سورة الإنسان جزء من الآية ٢٦ ٠

(٢) انظر : تفسير أبو السعود ج ١ ص ٧٤ ، وتفسير الخازن ج ١ ص ١٣ ٠

(٣) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام النيسابورى ج ١ ص ٥٩ ٠

مع أن نسبة الرقيقة إلى الغليظة كنسبة الدال إلى الطاء ، فإن الـــدال بطرف اللسان والطاء بكل اللسان ، لاطراد استعمال الغليظة مكـــان كل رقيقة ، ما لم يعق عائق الكسر وعدم اطراد الطاء مكـــان كـــل دال .

ما السر فى تطويل الباء من ﴿ بسم الله ﴾ ؟

يقول الإمام النيسابورى [١] : السر فى تطويل الباء فـــى قولـــه تعالى ﴿ بــــسم الله ﴾ :

١ ــ إما للدلالة على همزة الوصل المحذوفة .

٢ ــ وإما لأنهم أرادوا أن لا يستفتحوا كتاب الله إلا بحرف معظـــم وكان يقول عمر بن عبد العزيز لكتابه : طولوا الباء وأظـــهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله .

٣ ــ وقال أهل الإشارة : الباء حرف منخفض فى الصــــورة فلمـــا اتصل بكتابة لفظ الله ارتفعت واستعلت ، فلا يبعد أن القلـــب إذا اتصل بحضرة الله يرتفع حاله ويعلو شأنه .

قوله تعالى : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ . وصفان لله عز وجل .

وقال بعض العلماء إن لفظ الرحمن والرحيم بمعنى واحـــد وأن الرحيم مؤكدة للرحمن ، ولكن هذا الرأى رده معظم المفسرين فقـــد

---

(١) انظر : تفسير الإمام النيسابورى ج ١ص ٥٩ .

قال الإمام ابن جرير الطبرى [1] : إن كل كلمة فـــى القـــرآن لـــها مدلولها ولا يوجد فى القرآن الكريم كلمة زائدة ٠

وقالوا : إن ﴿ **الرحمن** ﴾ تعنى المنعـــم بجلائـــل النعـــم وأن ﴿**الرحيم** ﴾ المنعم بدقائقها ٠

وقال ابن القيم [2] : أن ﴿ **الرحمن** ﴾ دال على الصفة القائمـــة به سبحانه ، و ﴿ **الرحيم** ﴾ دال على تعلقها بـــالمرحوم ، وكـــأن الأول الوصف ، والثانى الفعل ٠

فالأول دال على أن الرحمة صفته أى صفة ذات له ســبحانه ، والثانى دال على أنه يرحم خلقه برحمتـــه ، أى صفـــة فعـــل لـــه سبحانه ٠

الحكمة فى تقديم ﴿ الرحمن ﴾ على ﴿ الرحيم ﴾ ٠

قدم المولى عز وجل ذكر صفة ﴿ **الرحمـــن** ﴾ علـــى صفـــة ﴿**الرحيم** ﴾ لأن ﴿ **الرحمن** ﴾ أبلغ من ﴿ **الرحيم** ﴾ حيث إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ٠

ويضاف إلى ذلك أن صفة ﴿ **الرحمن** ﴾ مختصة به ســـبحانه وتعالى فلا يوصف به غيره أما ﴿ **الرحيم** ﴾ فقد يطلق على غـــيره سبحانه وتعالى ٠

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ج ١ ص ٥٥ ــ ٥٩ ٠

(٢) ابن القيم ج ١ ص ٣٨ ٠

يقول الإمام القرطبى [1] : " وأكثر العلماء على أن ﴿**الرحمن**﴾ مختص بالله عز وجل لا يجوز أن يسمى به غيره ألا تراه قال : ﴿ **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن** ﴾ [2].

فعادل الإسم الذى لا يشركه فيه غيره وقال : ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون** ﴾ [3] فأخبر أن الرحمن هو المستحق للعبادة عز وجل .

مناسبة الجمع فى البسملة بين لفظ الجلالة ﴿ **الله** ﴾ وبين صفتى ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ [4].

جمع المولى عز وجل فى البسملة بين لفظ الجلالة الله وهو علم على الذات الإلهية وبين صفتى الرحمن الرحيم ليعرف العارف أن المستحق أن يستعان به فى مجامع الأمور هو المعبود الحقيقى ﴿**الله**﴾ الذى هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها ، جليلها وحقيرها فيتوجه الإنسان بكل كيانه ويتمسك بحبل الله المتين ويشغل سره بذكره .

---

(١) القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٠٦ .

(٢) سورة الإسراء ١١٠ .

(٣) سورة الزخرف الآية ٤٥ ، وانظر تفسير النيسابورى ج ١ ص ٧٥ ، وتيسير العزيز الحميد ص ٣١ ، وتفسير ابن كثير ج ١ ص ١٦ ، ١٧ .

(٤) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوى ج ١ ص ٧ ، مطبعة مصطفى الحلبى .

الإعـــــــــــراب :

إعراب قوله تعالى : ﴿ بسم الله ﴾ [١]

اسم : مخفوض بالباء الزائدة ٠

وقال أبو إسحاق : وكسرت الباء ليفرق بين ما يخفـــض وهـــو حرف لا غير وبين ما يخفض وقد يكون اسما نحو الكاف ٠

وقد صارت الباء تخفض هى وسائر حروف الخفض أنها ليــس لها معنى إلا فى الأسماء ولم تضارع الأفعال فتعمل عملها فأعطيت ما لا يكون إلا فى الأسماء وهو الخفض ٠

وقد اختلف النحويون فى إعراب ﴿ بسم الله ﴾ على وجهين :

الوجه الأول : وهو مذهب البصريين أنه فى موضع رفع لأنــه خبر مبتدأ محذوف وتقديره : ابتداء بسم الله ٠

الوجه الثانى : وهو مذهب الكوفيين أنه فى موضـــــع نصـــب بفعل مقدر تقديره ابتدأت بسم الله ٠

والألف فى لفظ الجلالة ﴿ الله ﴾ ألف وصل على قـــول مـــن قال : الأصل لاه ٠

ومن العرب من يقطعها فيقول : بســـم الله ، للزومـــها كـــألف القطع ٠

إعراب قوله تعالى : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ [٢]

---

(١) انظر : إعراب القرآن لأبى جعفر بـــن إســـماعيل النحـــاس ج ١ ص ١٦٦ ، البيان فى غريب إعراب القرآن لابن الأنبارى ج ١ ص ٣١ ٠

(٢) انظر إعراب القرآن لأبى جعفر بن إسماعيل النحاس ج ١ ص ١٦٧ ، ١٦٨ ٠

الرحمن : نعت لله عز وجل .

ولا يثنى ولا يجمع لأنه لا يكون إلا لله عز وجل وأدغمت اللام فى الراء لقربها منها ، وكثرة لام التعريف .

الرحيم : نعت ثانى وجمعه رحماء ، وهذه لغة أهل الحجاز وبنى أسد وقيس وربيعة وبنو تميم يقولون : رحيم ورغيف وبعير ولك أن تُشم الكسر فى الوقف وأن تسكن ، والاسكان فى المكسور أجود والإشمام فى المضمون أكثر ، ويجوز النصب فى ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ على المدح ، والرفع على إضمار مبتدأ ، ويجوز خفض الأول ورفع الثانى ، ورفع أحدِهما ونصب الآخر .

نزول البسملة :

لم تكن البسملة قبل الإسلام ، بل كانوا يقولون ويكتبون : باسمك اللهم ، حتى نزلت ﴿ **بسم الله مجراها** ﴾ [1] فكتبوا ﴿ **بسم الله** ﴾ حتى نزلت : ﴿ ... **أو ادعوا الرحمن** ﴾ [2] فكتبوا : ﴿ **بسم الله الرحمن** ﴾ حتى نزلت : ﴿ ... **وإنه بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ فكتبوها .

وروى عن ابن عباس : أن أول ما نزل به جبريل بسم الله الرحمن الرحيم [3].

---

(١) سورة هود جزء من الآية ٤١ .

(٢) سورة الإسراء ١١٠ .

(٣) انظر : أسباب النزول للإمام الواحدى ص ١١ ، البحر المديد لابن عجيبة ج١ ص ٥٣ ، والمحرر الوجيز لابن عطية ج ١ ص ٩٠ .

قرآنيـــــــة البسملـــــــــة :

لا خلاف بين العلمـــاء فـــى أن قولـــه تعـــالى : ﴿ **بســـم الله الرحمن الرحيم** ﴾ لفظ قرآنى لأنه جـــزء مـــن آيـــة فـــى ســـورة النمل قال تعالى : ﴿ **إنه من ســـليمان وإنـــه بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم** ﴾ [1].

ولكنهم اختلفوا فى كونها آية مـــن ســـورة الفاتحـــة ، أو آيـــة من كل سورة ، أو آية مستقلة ، والـــذى يعنينـــا هنـــا أن البســـملة لفظ قرآنى نزل فـــى ســـورة النمـــل وقـــد وردت للفصـــل بيـــن الســـور .

ذكر الإمام الواحدى عن ابن عباس قـــال : " كـــان رســـول الله ﷺ لا يعرف ختم السورة حتى ينزل عليه ﴿ **بسم الله الرحمـــن الرحيم** ﴾ .

وعن عبد الله بن مسعود قال : كنا لا نعلـــم فصـــل مـــا بيـــن السورتين حتى نزل بسم الله الرحمن الرحيم [2].

فوائد البسمـــــــلة :

١ ــ قول المولى عز وجل ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ تعلم منـــه سبحانه لعباده أن يذكروا اسمه عند افتتاح كل أمر من قـــول أو فعل لتحل البركة بهذا العمل أو بهذا القول لأن ﴿ **بســـم الله** ﴾ أى أبدأ بعونه وتوفيقه وبركته عملى أو قولى .

---

(١) سورة النمل جزء من الآية ٣٠ .

(٢) أسباب النزول للإمام الواحدى ص ١١ .

٢ ـ البسملة سنة مستحبة عند كل قول أو فعل قال رسول الله ﷺ " كل أمر ذى بال لا يبدأ بسم الله فهو أجزم "[١] أى مقطوع منزوع البركة .

وجاء فى الفتاوى للجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء بالمملكة العربية السعودية السؤال السادس من الفتوى رقم ٩٦٤٤ : " يسن كتابتها فى بداية كتابة كل شئ له بال وأهمية "[٢] واستشهدوا بالحديث السالف الذكر .

٣ ـ والبسملة أيضا سنة الأنبياء والمرسلين جميعا قال تعالى على لسان سيدنا نوح لما ركب السفينة : ﴿ **بسم الله مجريها ومرساها** ﴾[٣].

وقال سيدنا إبراهيم لأبيه ﴿ **يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن** ﴾[٤] وحكى عنه قوله : ﴿ **وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم** ﴾[٥].

وقال سيدنا سليمان عندما كتب كتابه لملكة سبأ ﴿ **إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾[٦] .

---

(١) رواه الحافظ بن عبد القادر الرهاوى فى الأربعين من حديث أبى هريرة مرفوعا (وعبد الرزاق فى المصنف برقم ٢٠٢٠٨ ، رواه الخطيب فى الجامع ج ٢ ص ١٢٨ ، والسبكى فى الطبقات ج ١ ص ٦ . وانظر الحديث فى أبى داود ـ كتاب الأدب ، باب الهدى فى الكلام ج ٤ ص ٢٦١ ، حديث رقم ٤٨٤٠ .

(٢) المجلد الرابع (التفسير) ص ١٤٩ .

(٣) سورة هود جزء من الآية ٤١ .

(٤) سورة مريم الآية ٤٥ .

(٥) سورة البقرة جزء من الآية ١٢٨ .

(٦) سورة النمل الآية ٣٠ .

٤ ـ فيها من التبرك بذكر اسم الله تعالى ، والتعظيم له عز وجل ٠

٥ ـ فيها مخالفة لقول المشركين الذين يفتتحـون أمورهـم بذكـر معبوداتهم ٠

٦ ـ ذكرها طرد للشيطان لأنه يفر من ذكر اسم الله ٠

٧ ـ فيها إقرار بالألوهية والاعتراف بنعمة ، ففى ذكر لفظ الجلالة ﴿ الله ﴾ اعتراف به سبحانه وتعالى بكونه الإله الحق ، ولفـظ الرحمن الرحيم صفتان له عز وجل توحى بشـمول الرحمـة والنعم ٠

وغير ذلك من الفوائد التى تشمل الناطق بها من إحساس بتقوية الروح على عمل الخير وصرف النفس عن الشر [١] ٠

(١) أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ١٧ ٠

ثانيا : تفسير الآية الأولى

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾

أولاً : بيان المراد بـــ ﴿ إنا ﴾

ثانياً : ﴿ أنزلناه ﴾

ــ معنى النزول فى اللغة ٠

ــ بيان التنزيلات ٠

ــ التنزيل الأول إلى اللوح المحفوظ ٠

ــ التنزيل الثانى فى ليلة القدر فى السماء الدنيا ٠

ــ التنزيل الثالث على قلب رسول الله ﷺ ٠

ــ حِكم تنزيل القرآن منجمًا ٠

ــ أقوال العلماء فى عودة الضمير (نا) ٠

ثالثاً : قوله تعالى : ﴿ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ وفيه خمس نقاط :

أولها : معنى القدر وسبب تسمية هذه الليلة به ٠

ثانيها : تحديد وقت هذه الليلة مع بيان الحكمة من إخفاء وقتها ٠

ثالثها : علامات هذه الليلة ، مع استحباب كتمانها لمن رآها ٠

رابعها : الخصام كان سبباً لرفع تعيين الليلة ٠

خامسها : فضل هذه الليلة وخير دعاء فيها ٠

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ٠

قوله تعالى : ﴿ إنا ﴾ بما لنا من العظمة ٠

أجمع المفسرون [١] على أن هذه الآية تنوه على عظمة القرآن الكريم ، فقد افتتحت بحرف ﴿ إن ﴾ الذى يفيد التـــأكيد ، وكذلـــك بالإخبار عنها بالجملة الفعلية وكلاهما من طرق التأكيد والتقّوى ٠

وأن فى التعبير بضمير العظمة ، وبالجملة الفعليـــة رداً علـــى المشركين الذين أنكروا القرآن وقالوا عنه أساطير الأولين أتى بـــها محمد ﷺ من نفسه ، أو تعلمها على يد معلم ٠

ذكر الشيخ عبد الحافظ فى مخطوطه [٢] قول الشـــيخ محمـــد الأبراشى نقلا عن العلامة الأمير [٣] : " (إن) يؤتى بـــها للتـــأكيد رداً على منكر أو شاك ، والمخاطبون فيهم ذلك فقد قالوا من تلقـــاء نفسه وقالوا أساطير الأولين اكتتبها ، أى انتسخها من أهل الكتاب " ٠

وقد ذكر الإمام الفخر الرازى [٤] أن المولى عز وجل قال فـــى بعض المواضـــع (إنـــى) كقولـــه **﴿ إنـــى جـــاعل فـــى الأرض**

---

(١) انظر : تفســـير الفخـــر الـــرازى ج ٣٢ ص ٢٧ ، الأســـاس للنســـفى م ١١ ص٦٦١٥ ، أبو السعود ج ٩ ص ١٨٢ ، النيســـابورى ج ٣٠ ، ص ١٤٢ وغير ذلك من كتب التفسير ٠

(٢) مخطوط روض الأزهار فى الكلام على سورة القدر المشرفة بالأنوار ص (٣) ٠

(٣) ذكره الشيخ محمد الأبراشى فى رسالة فى تفسير سورة القدر انظر المخطـــوط السابق ٠

(٤) انظر : التفسير الكبير للإمام الرازى ج ٣٢ ص ٢٧ ٠

خليفة ﴾ [1] وفى بعض المواضع ﴿ **إنا** ﴾ كقوله : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر** ﴾ [2] و ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر** ﴾ [3] ، و ﴿ **إنا أرسلنا نوحا** ﴾ [4] و ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ [5].

ثم أخبرنا أن ﴿ **إنا** ﴾ تارة تأتى للتعظيم ، وتارة تأتى للجمع وأن حمل ﴿ **إنا** ﴾ هنا أى فى حق الله لا تكون إلا للتعظيم وأن حمله على الجمع محال لأن جميع الأدلة والآيات دلت على وحدة الصانع الخالق ، ولأنه لو كان فى الآلهة كثرة أى جمع لانحطت رتبة كل واحد منهم عن الإلهية لأنه لو كان كل واحد منهم قادراً على الكمال لاستغنى بكل واحد منهم عن الآخرين ، وكونه مستغنى عنه فأثبت النقص إليه وبالتالى أسند النقص للآخرين ، وإن لم يكن كل واحد منهم قادراً على الكمال لأثبت النقص أيضا لكل واحد منهم وبالتالى يثبت لنا أن قوله تعالى : ﴿ **إنا** ﴾ محمول على التعظيم لا على الجمع .

قوله تعالى : ﴿ **أنزلناه** ﴾ :

قبل أن أتحدث عن المراد بالتنزيل فى قوله تعالى : ﴿ **أنزلناه** ﴾ وبيان ما فيه من عظمة ، أحب أن أذكر نبذة عن تنزيلات للقرآن الكريم .

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٣٠ .

(٢) سورة القدر الآية رقم ١ .

(٣) سورة الحجر جزء من الآية رقم ٩ .

(٤) سورة نوح جزء من الآية رقم ١ .

(٥) سورة الكوثر الآية رقم ١ .

أولاً : معنى النزول :

النزول فى اللغة [١] : يطلق ويراد به إحدى معنيين ، المعنى الأول : هو الحلول فى مكان ، والمعنى الثانى : انحدار الشئ من علو إلى سُفل ولا شك أن هذين المعنيين لا يليق إطلاقهما على إنزال القرآن الكريم • لما يلزم هذين المعنيين من المكانية والجسمية والقرآن الكريم ليس جسمًا ليحل فى مكان أو ينحدر من مكان •

إذا فلابد أن يكون إطلاق لغة الإنزال على القرآن الكريم إطلاق مجازى والعلاقة بين الإطلاق الحقيقى والإطلاق المجازى اللزوم •

وقد رجح الإمام الزرقانى [٢] تأويل الانزال بالبينة للقرآن الكريم بالإعلام وقال هو الأقرب والأوفق بالمقام •

ثانيا : بيان التنزيلات :

لقد ذكر العلماء أن تنزيلات القرآن الكريم ثلاثة تنزيلات ، التنزيل الأول : فى اللوح المحفوظ ، والتنزيل الثانى : فى ليلة القدر ، والتنزيل الثالث : على قلب رسول الله ﷺ •

---

(١) انظر : القاموس المحيط ج ٤ مادة نزل ص ٥٦ • والمفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ص ٢٨٨ •

(٢) انظر : مناهل العرفان للإمام الزرقانى ج ١ ص ٤٢ ، التنزيل لما نزل مفرقا أما الإنزال فهو " علم " انظر مفردات الراغب ص ٢٨٨ •

ولبيان ذلك بشئ من التفصيل أقول :

التنزيل الأول : إلى اللوح المحفوظ [(١)] : واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ** ﴾ [(٢)] وذكر أن طريقة وجوده فى اللوح المحفوظ والوقت الذى نزل فيه سر من أسرار الله لا يعلمها إلا هو ٠

ويرجح أنه نزل جملة واحدة لأن حكمة تنجيم القرآن على رسول الله ﷺ لا يعقل تحققها فى هذا التنزيل ٠

أما عن الحكمة من هذا التنزيل فقال : هى الحكمة من وجود اللوح المحفوظ نفسه ، وهى كونه سجل جامع لكل ما قضى الله وقدر ، فهو شاهد على عظمة الخالق سبحانه والإيمان باللوح المحفوظ وبكل ما كتب فيه أثر طيب صالح فى استقامة الإنسان المؤمن لعلمه أن كل شئ يسطر فيه كما قال عز وجل : ﴿ **وكل صغير وكبير مستطر** ﴾ [(٣)] ، فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة " [(٤)].

---

(١) انظر : مناهل العرفان ج ١ ص ٤٣ ، ٤٤ ٠

(٢) سورة البروج الآية ٢١ ، ٢٢ ٠

(٣) سورة القمر الآية ٥٣ ٠

(٤) صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووى ج ١٦ كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى ٠

التنزيل الثانى : إلى بيت العزة فى السماء الدنيا : واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة مباركة** ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر** ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن** ﴾ (٣).

وقد جمع العلماء بين النصوص الثلاثة وبينوا أنه لا تعارض بينها فالليلة المباركة هى ليلة القدر ، وليلة القدر فى شهر رمضان فهى ليلة واحدة ٠

وقد أجمع العلماء على أن القرآن الكريم نزل على قلب رسول الله ﷺ مفرقاً حسب الحوادث والوقائع ، فيكون المراد من إنزاله فى ليلة واحدة هو إنزاله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا ٠

ومما يدل على ذلك ما نقل من روايات أذكر البعض منها :

١ ــ أخرج الحاكم (٤) عن ابن عباس أنه قال : " فُصِلَ القرآن من الذكر فوضع فى بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبى ﷺ " ٠

ولفظه " فصل " يوحى بنزوله جملة واحدة ٠

٢ ــ وأخرج النسائى والحاكم والبيهقى (٥) عن طريق ابن عباس أنه قال : " أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر

---

(١) سورة الدخان الآية ٣ ٠

(٢) سورة القدر الآية ١١ ٠

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٥ ٠

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرك ــ كتاب التفسير ــ باب انزل القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر إلى السماء الدنيا ج ٢ ص ٢٢٢ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه وأقره الذهبى ٠

(٥) السنن الكبرى للنسائى ، كتاب التفسير ــ تفسير سورة القدر ج ٦ ص ٥١٩ ، ح١١٦٨٩ ، بلفظ الحاكم فى المستدرك ج ٢ ص ٢٢٢ السابق ==

ثم أنزل بعد ذلك فى عشرين سنة " ثم قرأ ﴿ **ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسَن تفسيرا** ﴾ [1] ، ﴿ **وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا** ﴾ [2].

والحديث صريح فى بيان كيفية النزول هنا ومكانه ، فقد نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا ٠

٣ ــ وأخرج الحاكم والبيهقى [3] وغيرهما عن ابن عباس قال : " أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسول الله ﷺ بعضه إثر بعضه " ٠

٤ ــ وأخرج ابن مردوية والبيهقى [4] عن ابن عباس أنه سأله عطية بن الأسود فقال : أوقع فى قلبى الشك قوله تعالى : ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن** ﴾ [5] وقوله تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر** ﴾ [6] ٠ وهذا أنزل فى شوال ، وفى ذى القعدة وفى ذى الحجة ، وفى المحرم ، وصفر وشهر ربيع ، فقال ابن عباس : " إنه أنزل فى رمضان فى لِيلة القدر جملة واحدة ، ثم أنزل على مواقع النجوم رِسْلاً [7] فى الشهور والأيام " ٠

==ذكره ، وأخرجه البيهقى فى سننه كتاب الصيام ، باب فضل ليلة القدر ج٤ ص٣٠٦ عن ابن عباس وذكره بلفظ الحاكم ٠

(١) سورة الفرقان الآية ٣٣ ٠

(٢) سورة الإسراء الآية ١٠٦ ٠

(٣) انظر : المستدرك ، كتاب التفسير باب انزال القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر إلى السماء الدنيا ج ٢ ص ٢٢٢ ٠

(٤) سبق تخريجه ٠

(٥) سورة البقرة الآية ١٨٥ ٠

(٦) سورة القدر الآية ١ ٠

(٧) معنىِ : على مواقع النجوم أى مفرقاً على الشهور والأيام ، معنى : رِسلاً أى رفقاً ٠

وقد صحح الإمام السيوطى الأحاديث الأربعة الماضية وإن كانت موقوفة على ابن عباس إلا أنها تأخذ حكم المرفوع إلى النبى ﷺ لأن العلماء اتفقوا على أن قول الصحابى فيما لا مجال للرأى فيه يأخذ حكم المرفوع [(١)] ، ومما لا شك فيه أن نزول القرآن الكريم من الأمور التى لا تؤخذ بالرأى ولا تعرف إلا من المعصوم ، فثبت الاحتجاج بها ٠

وقد ذكر الإمام القرطبى [(٢)] إجماع العلماء فى أن نزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا كان جملة واحدة ٠

وهناك ثلاثة أقوال أخرى فى نزول القرآن الكريم إلى السماء الدنيا ٠

ثانيها : إنه نزل إلى السماء الدنيا فى عشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ليلة القدر ٠

ثالثها : أنه ابتدئ إنزاله فى ليلة القدر ٠

رابعها : أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة وأن الحفظة نجمته على جبريل عليه السلام فى عشرين ليلة ٠

ولكن الثلاثة أقوال مردودة بما ذكرناه سالفا من أدلة وإجماع العلماء على نزوله جملة واحدة إلى السماء الدنيا وهو الصحيح المعتمد عليه كما قال الإمام ابن حجر [(٣)]٠ والله أعلم ٠

---

(١) انظر : تدريب الراوى ج ١ ص ١٩١ ٠

(٢) الإمام القرطبى فى تفسيره الجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ، تفسير سورة الدخان ص ١٢٦ ٠

(٣) انظر : فتح البارى ج ٤ كتاب فضل ليلة القدر ص ٢٥٥ ٠

التنزيل الثالث : على النبى ﷺ

واتفق العلماء على أن هذا التنزيل كان المرحلة الأخيرة التى منها انتشر الضياء والنور وملأ الدنيا كلها ، كما أنهم اتفقوا على أن هذا التنزيل كان بواسطة ملك الوحى جبريل الأمين ، فكان جبريل عليه السلام ينزل بالنجم القرآنى يقول عز من قائل : **﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين ﴾** (١) .

وكيفية هذا التنزيل معلومة ومعروفة فقد نزل به جبريل على قلب سيد الخلق أجمعين منجما أى مفرقا حسب الوقائع والحوادث ، وقد أيد أنزاله فى ليلة القدر من شهر رمضان الكريم .

حكم نزول القرآن الكريم منجما

عندما نتحدث عن حكم نزول القرآن الكريم منجما نذكر البعض لأن حكم الخالق قد تظهر لنا وقد تخفى علينا وقد نعلم منها القليل .

وحكم نزول القرآن منجما على قلب سيد المرسلين منها :

١ ـ تثبيت قلب رسول الله ﷺ .

يقول تعالى : **﴿ كذلك لتثبيت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ﴾** (٢) .

---

(١) سورة الشعراء الآيات ١٩٢ : ١٩٥ .

انظر : تنزيلات القرآن الكريم فى البرهان ج ١ ص ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، الاتقان ج١ ص ١١٨ : ١٤٢ ، ومناهل العرفان ج ١ ص ٤٣ : ص ٤٦ ، والتحبير فى علم التفسير للسيوطى ص ١١٥ ، ١١٦ ، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص٣٨٠ ، تفسير الرازى ج ٣٢ ص ٢٧ .

(٢) سورة الفرقان الآية٣٢ .

عندما بلغ رسول الله ﷺ دعوته لقومه لم يجد من معظمهم إلا القسوة والنفور ، فقد عانا هو وأصحابه منهم صنوفا من العذاب والأذى ورغم ذلك كان شديد الحرص على إيمانهم حتىقال فيه عز من قائل : ﴿ **لعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا** ﴾ (١).

فكان جبريل ينزل على قلب رسول الله ﷺ فترة بعد فترة ليكون ذلك بمثابة القوة الإيمانية التى تثبت قلب نبى الرحمة محمد بن عبد الله ﷺ وتدفع عزيمته للمضى فى طريق العدوة .

وبين الله سنته فى خلقه فالأنبياء السابقين كذبوا وتعرضوا لكل أنواع العذاب ولم يقابلوا من قومهم إلا بالعلو والاستكبار ، فيجد عليه السلام فى ذلك التسلية والسلوى يقول المولى عز وجل ﴿ **قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ، ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا** ﴾ (٢).

ويأمره القرآن بالصبر كما صبر الرسل من قبله ﴿ **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل** ﴾ (٣).

وهكذا كانت الآيات القرآنية تنزل منجمة تسلية له وتثبيتا لقلبه حتى لا يجد اليأس إليه سبيلا .

---

(١) سورة الكهف الآية ٦ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) سورة الأحقاف الآية ٣٥ .

٢ ـ التحدى والإعجاز :

لقد تعجب الكفار من نزول القرآن الكريم منجما ، ومع تعجبهم هذا بين الله لهم أن فى هذا الحق ، فقد تحداهم بالإتيان بمثله ومن الواضح أن فى نزوله منجما أبلغ الحجج فى بيان إعجازهم عن مماثلته وكان المشركون يسألون رسول الله ﷺ أسئلة تعجيز وتحدى يمتحنون فيها خير الخلق رسول الله ﷺ ٠ كعلم الساعة والروح وغير ذلك يقول المولى عز وجل ﴿ **يسألونك عن الساعة ...** ﴾ [١] فينزل النجم القرآنى ليتحداهم بالرد على هذه الأسئلة الباطلة بما هو أحسن معنى وأقوم قيلا ٠

٣ ـ تيسير حفظه وفهمه ٠

لقد نزل القرآن الكريم على أشرف المرسلين وكان أميا لا يعرف القراءة والكتابة ولم يتعلم على يد معلم ، وفى أمة أمية أيضا ٠ قال تعالى : ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ [٢].

لذلك لم تكن فى استطاعة الأمة الأمية أن تحفظ القرآن الكريم كله إذا نزل جملة واحدة ، وأن تفهم معانيه وتدبره فكان فى نزوله منجما نعمة كبرى لهذه الأمة ليتيسر لها فى حفظه واتقانه وتدبر آياته ٠

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٧ ٠

(٢) سورة الجمعة الآية ٢ ٠

٤ ـ التدرج فى التشريع ومسايرة الأحداث :

نعلم جيدا أن القرآن الكريم عندما نزل فـــى أول الأمـــر كـــان يعالج العقيدة فتناول أصول الدين ، فالتوحيد والرسل والكتب واليوم الآخر بما فيه من ثواب وعقاب حتى يمحوا العقائد البالية الرذيلـــة ، ويغرس فيها العقيدة الصحيحة وهى عقيدة الإسلام ·

وكان أيضا يحث على الأخلاق الكريمة التى ترتفـــع بـــالنفس وتسموا بها مع بيان الحلال والحرام ·

وبعد أن استأصل ما فى النفوس من أمراض وعمـــر قلوبـــهم بالإيمان بدأ فى التشريع لتكون النفس متشوقة لأمر خالقها طـــاهرة لاستقباله متهيأة لتنفيذه ·

ولا يتأتى ذلك كله إلا بالتدرج فى التشريع ·

وخير مثال على هذا التدرج فى تشريع تحريم الخمر ·

أما كون الآيات كانت تنزل مسايرة للحوادث ، فهذا كان تربيـــة للأمة وفق ما يمر بها من أحداث ·

وخير مثال لهذا قصة النفر من الصحابة الذين تخلفوا فى غزوة تبوك ولم يجد رسول الله ﷺ عذر وضاقت بـــهم الأرض فيـــنزل النجم القرآنى يخبر العالم كله بقبول توبتهم يقول عز مـــن قـــائل :

﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليـــهم الأرض بمـــا

رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾ [١].

٥ ـ الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم كلام رب العالمين :

إن فى نزول القرآن الكريم منجما لأكبر دلالة على أنه كلام المولى عز وجل وأنه لا دخل لسيدنا جبريل عليه السلام ولا لرسول الله ﷺ فيه ٠ فلو كان من صنع البشر لوجدوا فيه اختلافا كبير لأن نزوله على أكثر من عشرين عاما على فترات مختلفة مع ترابط معانيه وتناسق آياته ورصانة أسلوبه بشئ يعجز عنه البشر يقول عز من قائل : ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ﴾ [٢].

وقال الشيخ محمد الأبراشى [٣] نقلا عن الإمام الفخر الرازى [٤] فى سر نزوله منجما : إنه لو نزل جملة واحدة لضلت فيه الأفهام وتاهت فيه الأوهام ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله** ﴾ [٥]. فهو كالمطر لو نزل من السماء دفعة لقلع الأشجار وخرب الديار ٠

وفى تنزيله منجما تسهيل ضبط الأحكام والوقوف على حقائق نظم الآيات ٠

---

(١) سورة التوبة الآية ١١٨ ، والثلاثة هم : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع كلهم من الأنصار ٠

(٢) سورة النساء الآية ٨٢ ٠

(٣) مخطوط روض الأزهار فى الكلام على سورة القدر المشرفة الأنوار ص ٧ ، ٨ ٠

(٤) تفسير الفخر الرازى ج ٣٢ ص ٢٧ ٠

(٥) سورة الحشر الآية ٢١ ٠

الفرق بين الإنزال والتنزيل :

الإنزال : ما كان دفعيا ، والتنزيل تدريجيا ، هذا هو الغالب عند التجرد عن القرائن والهمزة والتضعيف ، وإن كان أخوين في أصل التعدية لكن الفرق بينهما بذلك معهود ٠

وقد اختلف فى معنى الفعل إذا تعدى بالهمزة وبالتضعيف هل هو واحد أو مختلف ، والأول ظاهر كلام ابن مالك ومذهب الزمخشرى والسهيلى ومن تبعهما للثانى وعليه فالتعدية بالهمزة لا تدل على التكرير بخلاف التضعيف ولهذا جاءنا ﴿ **أنزلناه فى ليلة القدر** ﴾ لأنه نزل فيها إلى سماء الدنيا دفعة واحدة وجاء ﴿ **فإنه نزل على قلبك ونزلناه تنزيلا** ﴾ أى شيئا بعد شيء ، والأول هو الصحيح ٠

قال تعالى : ﴿ **لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة** ﴾ [١]

وفى إسناد الإنزال إلى المولى عز وجل معبرا بضمير العظمة لمناسبة ذلك المقام أى نحن على ما نحن عليه من العظمة أنزلناه وما تنزلت به الشياطين كما زعمت الكهنة ٠

الإعراب [٢] ٠

قوله تعالى : ﴿ **إنا** ﴾ ٠

أصله إننا فحذفت النون لاجتماع النونات ، ولأنها زائدة ٠

قوله تعالى : ﴿ **أنزلناه** ﴾ ٠

---

(١) سورة الفرقان الآية ٣٢ وانظر : المخطوط ص ١١ ٠

(٢) إعراب القرآن لأبى جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس ص ٢٦٥ ٠

النون والألف فى موضع رفع بالفعل ، وأسكنت اللام لاتصالها بالمضمر المرفوع اتباعا لما تتوالى فيه الحركات والهاء فى موضع نصب ، وحذفت الواو بعدها لسكونها وسكون الألف ، وإن الهاء ليست بحاجز حصين لخفائها وبعدها ٠

وقيل : لاجتماع حرفى مد ولين فحذفت إحداهما ، والهاء كناية عن القرآن ٠

أقوال العلماء فى عودة الضمير (نا) ٠

فى عودة الضمير " نا " فى قوله ﴿ **أنزلناه** ﴾ قولين :

القول الأول : عودة الضمير على المتكلم وهو المولى عز وجل ٠

القول الثانى : إن الضمير يعود على المولى عز وجل ومعه غيره ٠

فإن المولى عز وجل نزله بواسطة الملائكة قال تعالى : ﴿ **نزل به الروح الأمين** ﴾ (١) وهنا يكون إطلاق الإنزال على الملائكة من باب المجاز فلا مانع للجمع بين الحقيقة والمجاز فى الإسناد ، ولا مانع هنا من إسناد نزوله مجازا إلى جبريل الأمين ٠

لذلك يحمل " نا " على التعظيم وليس على الجمع لأن المنزل فى الحقيقة هو الله العلى القدير ، وحمله على الجمع محال لأن الدلائل دلت على وحدة الإله ٠

وجاء فى فتح البارى (٢) : " العرب تؤكد فعل الواحد فتجعله بلفظ الجمع ليكون أثبت وأوكد " ٠

---

(١) سورة الشعراء جزء من الآية ١٩٣ ٠

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٨ كتاب التفسير ٩٧ سورة إنا أنزلناه ص ٧٢٥ ٠

وقال الإمام النسفى [١] : " عظم القرآن حيث اسند إنزله إليـــه دون غيره "

أقوال العلماء فى عودة الضمير (الغائب) فى ﴿ أنزلناه ﴾ .

أجمع المفسرون على عــودة الضمــير فــى قولــه تعــالى : ﴿ أنزلناه ﴾ إلى القرآن وكان رأى من أرجعه إلى جبريل لم يعتــد برأيه لضعفه [٢] ، وقد اعترض الإمام البيضاوى [٣] على عـــودة الضمير إلى غير مذكور لأنه عائد على قوله تعالى : ﴿ **اقرأ بســم ربك ..** ﴾ [٤].

وفى الإتيان بضمير الغائب وهو " الهاء" دون الاسم الظـــاهر، دليل على مدى ظهوره ، وأنه حاضر فى الأذهان وذلك لشدة إقبــال المسلمين عليه فيكون الضمير دون سبق معاد إيماء إلـــى شــهرته بينهم .

---

(١) انظر : الأساس فــى التفســير م ١١ ص ٦٦١٥ ، والبحــر المحيــط ج ١٠ ص٥١٣ ، ٥١٤ ، وتفسير أبى السعود ج ٩ ص ١٨٢ ، وتفسير الزمخشــرى ج ٤ ص ٢٧٣ ، وتفسير الإمام الخازن ج ٤ ص ٢٧٥ ، وفتح القديــر ج ٥ ص ٤٧١ .

(٢) انظر : تفسير الإمام الألوسى ج ٣٠ ص ١٨٩ .

(٣) انظر : تفسير الإمام البيضاوى ج ٥ ص ٥١٣ ط دار الفكر .

(٤) سورة العلق الآية ١ .

للعلماء أقوال فى عودة الضمير للقرآن هل يعود على القـرآن كله أم بعضه ؟ [1]

١ ـ يجوز أن يراد به القرآن كلـه فيكـون فعـل ﴿ **أنزلنـاه** ﴾ مستعملا فى ابتداء الإنزال ، لأن الذى أنزل فى تلـك الليلـة الآيات الخمس الأول من سورة العلق ثم فتر الوحى ثـم عـاد إنزاله منجما ولم يكمل إنزال القرآن إلا بعد نيـف وعشـرين سنة .

ولكن لما كان جميع القرآن مقررا مقداره فى علم الله تعـالى ، كان إنزاله بإنزال الآيات الأول منه لأن ما ألحق بالشـئ يعـد بمنزلة أوله .

٢ ـ ويجوز أن يكون الضمير عائدا على المقدار الذى أنزل فـى تلك الليلة وهو الآيات الخمس من سورة العلق فإن كل جـزء من القرآن يسمى قرآنا والتقدير أنزلناه من فضل ليلـة القـدر وشرفها ولما كانت السورة ﴿ **القدر** ﴾ من القرآن جاء الضمير للقرآن تفخيما وتحسينا كما فى قول عمر ﷺ : خشيت أيـنزل فى قرآن ، وقول عائشة رضى الله عنها لأنا أحقر نفس فى أن ينزل فى قرآن [2]. وقد رده ابن عرفة .

---

(١) انظر : تفسير الإمام الفخر الرازى ، والإمـام الألوسـى والإمـام القرطبـى وغيرهم . المراجع السابقة .

(٢) انظر : تفسير الإمام أبى السعود ج ٩ ص ١٨٢ .

٣ ــ المراد به إنزاله إلى السماء الدنيا وليس إلى الأرض وهــو أن جبريل أملاه على ملائكة سماء الدنيا فكتبوه فى صحف وكانت تلك الصحف فى محل من تلك السماء يقال له بيت العزة كمـــا تشير له عبارة البيضاوى [١] وتصرح به عبارة الخطيب [٢].

وحكى الماوردى عن ابن عباس قال : نزل القرآن فى شـــهر رمضان ، وفى ليلة القدر ، فى ليلة مباركة ، جملة واحدة من عنــد الله ، من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين فى السماء الدنيا فنجمته السفرة الكرام الكاتبون على جبريل عشرين سنة ، ونجمـــه جبريل على النبى ﷺ عشرين سنه [٣].

وقد رد هذا القول الإمام ابن العربى [٤] معلقا إن هذا من جهالة المفسرين ، وقال إن هذا باطل ، ليس بين جبريل عليه السلام وبيــن الله واسطة ولا بين جبريل عليه السلام وبين محمد ﷺ واسطة .

الترجيـــــــح : الرأى الأرجح عودة الضمير على القــرآن وهذا هو رأى الجمهور وقد ذكر ذلك فى سورة البقرة قال تعــالى : **﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينـــات مــن الهدى والفرقان . . . ﴾** [٥] .

---

(١) تفسير الإمام البيضاوى ج ٥ ص ٥١٣ .

(٢) تفسير الإمام الخطيب ج ٤ ص ٥٦٥ .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٢٠ ص ١٣٠ .

(٤) أحكام القرآن ج ٤ ص

(٥) سورة البقرة الآية ١٨٥ .

وفى سورة الدخان قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة مباركة** ﴾ [1] سواء كان على سورة واحدة أو على أكثر فهى من جملة القرآن وقد اختار الإمام أبو السعود وقال هو الأنسب [2].

التعبير بلفظ الماضى :

وفى التعبير بالمضى فى فعل ﴿ **أنزلناه** ﴾ قال بعض العلماء لا مجاز فيه ، وقال البعض الآخر إنه أطلق على بعضه مجازا بعلاقة البعضية [3].

نزول القرآن إلى السماء الدنيا كان بعد البعثة :

هل نزوله جملة واحدة إلى السماء الدنيا كان قبل ظهور نبوته ﷺ أم بعد ذلك ؟

قال أبو شامة الظاهر أنه كان قبل البعثة ، وقال الإمام السيوطى يحتمل أن يكون بعد ، ورجح الشيخ عبد الحافظ رأى الإمام السيوطى وقال إنه هو الظاهر وأن سياق الآثار تدل عليه " [4].

أول نجم قرآنى كان ليلا :

وقد أجمع العلماء على أن الإنزال كان ليلا لا نهارا والآية صريحة فى أن الآيات الأول من القرآن نزلت ليلا ، فالآية تذكر لفظ " الليلة " وكذلك آية الدخان وصفتها بأنها ليلة مباركة ، وهو الذى يقتضيه حديث بدء الوحى فى الصحيحين لقول عائشة فيه :

---

(١) سورة الدخان جزء من الآية ٣ .

(٢) تفسير أبو السعود ج ٩ ص ١٨٢ .

(٣) انظر : التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٤٥٧ .

(٤) مخطوط روض الأزهار ص ١٢ .

" فكان يتحنث فى غار حراء الليالى ذوات العـــدد " [1] فـالحديث أيضا صريح بأن تعبده كان ليلا ، ويظهر أن يكون الملك قد نـــزل عليه إثر فراغه من تعبده ، وأما قول عائشة فرجـع بــها رســول الله ﷺ يرجف فؤاده " فمعناه أنه خرج من غار حراء إثر الفجــر بعد انقضاء تلقينه الآيات الخمس ، إذ يكون نزولها عليه فى آخــر تلك الليلة .

وهنا تتجلى عظمة الخالق فى اختيار الليل لـــنزول أول نجـم قرآنى .. وفى ذلك قال العلماء :

ـ إن الليل أفضل مــن النــهار وخاصــة آخـره قــال تعــالى : ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ [2].

ـ وقيل لأن الليل فيه تجلى البارى سبحانه .

ـ وقال البعض إنما كان انزال القرآن ليــلا لأنــه وقــت الخلــوة وأكرم الله جماعة من الأنبياء بأنواع من الكرامة ليــلا وأكــثر الكرامات ليلا .

ـ وأكبر دليل على فضل الليل على النهار هو بدأ نـــزول القــرآن كان فيه [3].

---

(١) صحيح الإمام البخارى كتاب الإيمان ج ١ باب كيف كان بـدء الوحــى إلــى رسول الله ﷺ ص ٣ .

(٢) سورة آل عمران جزء من الآية ١٧ .

(٣) انظر : المخطوط روض الأزهــار ص ١٢ ، والتحريــر والتنويــر ج ٣٠ ، ص٤٥٧ ، وتفسير الشيخ محمد عبده ص ٩٧ .

قوله تعالى : : ﴿ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾

أولاً : معنى القَدْر وسبب تسمية هذه الليلة به ٠

قال علماء اللغة [١] : القَدْرُ والقَدَرُ : القضاء والحكم ، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من أمور ٠ قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ أى ليحكم كما قال تعالى : **﴿ فيها يُفرق كل أمر حكيم ﴾** [٢].

والقَدَرُ : كالقَدْرِ ، وجَمعُهما جميعا أقدار ، وقال اللحيانى : القَدَرُ الاسم ، والقَدْرُ المصدر ٠

وقدر الرزق يَقْدِرُه : قَسمه ، وقَدَر القومُ أمرهم يَقْدرُونه قَدْراً : دَبَّروه ، ويَقْدِرُه قَدْراً وقَدَراً وقَدَّرَه : ضيقه ، ويقول علماء التفسير [٣] فى معنى القَدْر وسبب تسميته الليلة به الآتى :

---

(١) انظر : لسان العرب ج ١١ مادة قدر من ص ٥٦ : ٥٩ ٠

(٢) سورة الدخان الآية ٤ ٠

(٣) انظر : تفسير روح المعانى ج ٣٠ ص ١٩٠ ، ١٩١ ، تفسير أبى السعود ج٩ ص ١٨٢ ، وتفسير الإمام البغوى ج ٤ ص ٤٧٧ ، فتح القدير ج ٥ ص٤٧١ ، ٤٧٢ ، تفسير القاسمى ج ١٧ ، ص ٦٢١٩ ، تفسير القرطبى ج٢٠ ص ١٣٠ ، ١٣١ ، وتفسير الطبرى ج ٣٠ ص ١٦٧ ، تفسير البحر المحيط ج ١٠ ص ٥١٤ ، والنسفى م ١١ ص ٦٦١٥ ، وابن كثير ج ٤ ص٥٢٩ ، والفخر الرازى ج ٣٢ ص ٢٨ ، وابن العربى ج ٤ ص ٤٢٧ ، وأيدهم أيضا ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى ج ٤ ص ٢٥٥ ، والإمام النووى فى شرح أحاديث مسلم ج ٨ ص ٥٧ ٠

سميت ليلة القدر إما بمعنى ليلة التقدير ، لأن الله تعالى ابتـــدأ فيها تقدير دينه ولأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام ، يقدر الله فيـــها أمر السنة فى عباده وبلاده إلى السنة المقبلة ، كقوله عز من قائل : ﴿ **فيها يفرق كل أمر حكيم** ﴾ [1] ، وهو مصدر قولهم : قـــدر الله الشئ بالتخفيف قدرا وقدرا ، كالنهر والنـــهر والشـــعر ، وقـــدره بالتشديد تقديرا بمعنى واحد .

قيل للحسين بن الفضل : أليس الله قد قرد المقاديـــر قبـــل أن يخلق السماوات والأرض قال : نعم ، قيل : فما معنى ليلة القـــدر ؟ قال : سوق المقادير التى خلقها إلى المواقيـــت ، وتنفيـــذ القضـــاء المقدور . " [2]

وقيل : إن معناها العظمة والشرف من قولهم فلان له شـــرف وعظمة . وسميت بذلك لأن الله قد أعلى فيها منزلة نبيه وشـــرفه وعظمه بالرسالة ، قال تعالى : ﴿ **وما قدروا الله حق قـــدره** ﴾ [3] أى ما عظموا حق تعظيمه .

وقيل : لأن العمل الصالح فيها يكون ذا قدر عنـــد الله لكونـــه مقبولا وأن من فعله كان ذا قدر عند الله .

---

(١) سورة الدخان الآية ٤ .

(٢) انظر : قول الحسين فى تفسير الإمام البغوى ج ٤ ص ٤٧٧ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٩١ ، الزمر الآية ٦٧ والحج الآية ٧٤ .

وقيل : بما فيه من التصريح بأنها ليلة جليلة ، بجلالة ما وقع فيها من إنزال القرآن ذو القدر بواسطة ملك ذى قدر على رسول ذى قدر لأمة ذات قدر ٠

وقيل لنزول الملائكة فى هذه الليلة وهم ملائكة ذات قدر ٠ وقال الخليل بن أحمد المعنى : ليلة الضيق ﴿ **ومن قدر عليه رزقه** ﴾ [١] ضيق وسميت بذلك لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة عليهم السلام ٠

والتعريف فى (القدر) تعريف الجنس ٠

ولم يقل : فى ليلة قدر ، بالتنكير لأنه قُصد جعل هذا المركب بمنزلة العلم لتلك الليلة كالعلم بالغلبة ، لأن تعريف المضاف إليه باللام مع تعريف المضاف بالإضافة أوْ غَلُ فى جعل ذلك المركب لَقَبا لاجتماع تعريفين فيه " [٢]

ثانيا : تحقيق القول فى وقتها مع بيان الحكمة من إخفائه :

كتب الأستاذ الدكتور / المسير [٣] تحت عنوان " ليلتان للقدر " أن هناك فرقاً بين ليلة القدر التى نزل فيها قوله تعالى : ﴿اقرأ

---

(١) سورة الطلاق جزء من الآية ٧ ٠

(٢) التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٤٥٧ ٠

(٣) انظر : مختارات من كتاب الرسول ﷺ فى رمضان تأليف أ٠د/ محمد المسير (جريدة صوت الأزهر ص ٣٠ ، ٣١) ٠

باسم ربك الذى خلق ﴾ [١] وبين ليلة القدر التى التمسها الرسول بمزيد العبادة والنسك ٠ واستطرد قائلا : إن الأولى : معلومة على وجه اليقين أو الظن الغالب ، فهى الليلة التى كان فيها الرسول متحنثا فى غار حراء حتى فاجأه الوحى ، وهى الليلة السابعة عشر من رمضان ـ على التحقيق ولها من الملابسات والآثار النفسية والإجتماعية مالا يعقل معه نسيانها ٠

وأما الثانية : فهى ليلة ثواب تفضل الله به على القائمين والركع السجود ٠ وهى لا تعلم على وجه التحديد ٠

وأكبر دليل على صحة ما قاله : أن خلاف العلماء بين رفعها وإثباتها ، وبين بقائها ودورانها يؤكد أنه ليلة القدر شئ آخر غير ليلة غار حراء ، فليلة القدر التى يلتمسها المسلمون هى ليلة ثواب تفضل الله بها على من يشاء من عباده وعلى هذا ، فهناك ليلتان للقدر ٠

ـ ليلة قدر نزل فيها محققة فى يوم نزول قوله تعالى : ﴿ اقرأ ... ﴾ ٠

ـ وليلة قدر منحها لعباده كى يكتسبوا مزيد فضل ونعمه ٠

لذلك سيكون تحقيق القول إن شاء الله فى تعيين وقت ليلة القدر التى تفضل الله بها على من يشاء من عباده الصالحين ٠

---

(١) الآية رقم (١) من سورة العلق ٠

أولا : تحقيق القول من وقتها :

يقول عز من قائل : ﴿ **سلام هى حتى مطلع الفجر** ﴾ فالإشارة بلفظ ﴿ **هى** ﴾ تعود على الليلة المباركة وهى ليلة القدر ، ولكن أى ليلة ؟

تعددت الروايات فى تحديدها ، واختلف العلماء فى ذلك على أكثر من أربعين قولاً ، أعرض منها ما تيسر لى مع ذكر دليل كل قول والله المستعان .

١ ـ ليلة النصف من شعبان [1] وهو من أغرب الأقوال بل هو قول شاذ وغريب وقد رواه عكرمة .

وقد رده العلماء قال الإمام : ما يقوله البعض من أن الليلة المباركة التى يفرق فيها كل أمر حكيم هى ليلة النصف من شعبان وأن الأمور التى تفرق فيها هى الأرزاق والأعمار ، وكذلك ما يقولونه من مثل ذلك فى ليلة القدر فهو من الجرأة على الكلام فى الغيب بغير حجة قاطعة .

وليس من الجائز لنا أن نعتقد بشئ من ذلك ، ما لم يرد به خبر متواتر عن المعصوم ﷺ ، ومثل ذلك لم يرد ، لاضطراب الروايات وضعف أغلبها ، وكذب الكثير منها . ومثلها لا يصح الأخذ به فى باب العقائد ...

---

(١) انظر : تفسير الإمام القاسمى ج ١٧ ص ٦٢١٩ ، وتفسير الإمام الألوسى ج٣٠ ص ١٩٢ .

ولا يجوز لنا الأخذ بالظن فى عقيدة مثل هذه ، وإلا كنا من الذين قال الله فيهم : ﴿ **إن يتبعون إلا الظن** ﴾ [1] .

وقد وقع المسلمون فى هذه المصيبة ، مصيبة الخلط بين ما يصح الاعتقاد به من غيب الله ويعد من عقائد الدين ، وبين ما يظن به للعمل على فضيلة من الفضائل .

وهذا القول مردود بقوله تعالى : ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن** ﴾ [2].

٢ ــ وعن ابن مسعود أنها تنتقل فى ليالى السنة فتكون فى كل سنة فى ليلة قدر ، ونسبه النووى إلى أبى حنيفة وصاحبيه .

٣ ــ تكون فى شهر رمضان دون سائر شهور العام .

<u>وقد اختلف العلماء فى تحديد هذه الليلة من شهر رمضان على الأقوال الآتية :</u>

١ ــ أنها ليلة سبع عشرة من الشهر وهو قول عبد الله بن الزبير لأن وقعة بدر كانت فى صبيحتها .

٢ ــ أنها ليلة التاسع عشر ، حكى عن زيد بن أرقم وابن مسعود وعن أنس مرفوعاً .

٣ ــ أنها ليلة إحدى وعشرين .

---

(١) سورة الأنعام جزء من الآية ١١٦ .

(٢) سورة البقرة جزء من الآية ١٨٥ .

٤ ــ أنها ليلة ثلاث وعشرين وهو ما مال إليه الشافعى ٠

٥ ــ أنها ليلة خمس وعشرين ٠

٦ ــ أنها ليلة سبع وعشرين ٠

٧ ــ أنها ليلة تسع وعشرين ٠

٨ ــ أنها فى الأوتار الاشفاع للأفراد الخمس ٠

وبعد العرض للأقوال نذكر أدلة كل قول :

القول الأول : قد ذكرنا رد العلماء عليه فى حينه لضعفه وبعده عن الصواب والقول به بدون أدلة ٠

القول الثانى : وهو قول ابن مسعود إنها فى العام كله ، واعتمد فى قوله هذا على أن الليلة موجودة شرعا ، مخبراً عنها قطعا ، ولم يتعين لتوقيتها دليل ، فبقيت مترقبة فى الزمان كله ٠

القول الثالث : وهو قول من قال إنها فى شهر رمضان ودليلهم أن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول يطلبها ، واعتكف العشر الأواسط ، واعتكف العشر الأواخر ، ولو كانت مخصصة بجزء منه ما تقلب فى جميعه يطلبها فيه ٠

أما تحديد الليلة بالعدد فالأدلة لكل قول ما يأتى :

١ ــ من قال إنها ليلة سبع عشرة من الشهر فإنه قول عبد الله بن الزبير ودليله قوله تعالى : ﴿ **وما أنزلنا على عبدنا يوم التقى الجمعان** ﴾ (١) وكان ذلك ليلة سبع عشرة ٠

---

(١) سورة الأنفال الآية ٤١ ٠

٢ ـ من قال إنها ليلة التاسع عشر حكى ذلك عن زيد بن أرقم وابن مسعود وعن أنس مرفوعا ٠

٣ ـ من قال إنها ليلة إحدى وعشرين ودليلهم قول رسول الله ﷺ من حديث أبى سعيد الخدرى أنه ﷺ قال : " رأيت هذه الليلة ـ يعنى ليلة القدر ـ ثم نسيتها ، وقد رأيتنى أسجد من صبيحتها فى ماء وطين " [١] قال أبو سعيد فمطرت السماء من تلك الليلة فوكف المسجد فأبصرت عيناى رسول الله ﷺ وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين [٢]٠

٤ ـ أنها ليلة ثلاث وعشرين ودليلهم قول عبد الله بن أنيس أنه سئل عن ليلة القدر فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " التمسوها الليلة وتلك الليلة ليلة ثلاث وعشرين " [٣]

وأن عبد الله بن أنيس قال للنبى ﷺ : " مرنى بليلة أنزل فيها إليك ، فقال له النبى ﷺ : " أنزل ليلة ثلاث وعشرين " [٤]

---

(١) انظر : صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووى ج ٨ كتاب الصيام باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها ص ٦٠ ، ٦١ ، وموطأ الإمام مالك ج ١ كتاب الاعتكاف باب ما جاء فى ليلة القدر رقم ٩ ص ٣١٩ ، ومسند أحمد ج ٣ ص ٢٤ ٠

(٢) صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووى ج ٨ كتاب الصيام باب فضل ليلة القدر ص ٦٠ ، ٦٢ ، وصحيح الإمام البخارى ج ٣ كتاب الصيام باب التماس ليلة القدر فى السبع الأواخر ٠

(٣) صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووى ج ٨ كتاب الصيام باب فضل ليلة القدر ص ٦٤ ٠

(٤) موطأ الإمام مالك ج ١ كتاب الاعتكاف ص ٣٢٠ ، حديث رقم ١٢ وقال ابن عبد البر هذا منقطع وأوصله مسلم فى صحيحه باب فضل ليلة القدر والحث علي طلبها ص ٦٠ ، ٦١ ٠

وفى صحيح الإمام مسلم [١] أن النبى ﷺ قال : " إنى رأيت أنى أسجد فى صبيحتها فى ماء وطين " قال عبد الله بن أنيس : فرأيته فى صبيحة ثلاث وعشرين سجد فى الماء والطين كما أخبر ﷺ ٠

٥ ـ أما من قال إنها ليلة خمس وعشرين ودليلهم قول أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : " التمسوها فى العشر الأواخر فى تاسعه تبقى فى سابعة تبقى فى خامسة تبقى " [٢] زاد النسائى [٣] على مسلم أو ثلث آخر ليلة وهذا الدليل ينطبق على ليلة سبع وعشرين وتسع وعشرين وينطبق على قول إنها فى الأوتار الأشفاع للأفراد الخمس ٠

وقد ذكر معظم علماء التفسير أن الليلة هى ليلة سبع وعشرين ٠

قال الإمام ابن العربى [٤] : " نزغ بذلك كثير من العلماء إلى أنها فى ليلة سبع وعشرين ، لأنهم عدوا حروف السورة ، فلما بلغوا إلى قولهم (هى) وجدوها سبعة وعشرين حرفاً ، فحكموا

---

(١) صحيح الإمام مسلم بشرح النووى ج ٨ كتاب الصيام باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها ص ٦٠ ، ٦١ ٠ وصحيح الإمام البخارى ج ٣ ص ٦١ ، كتاب الصوم باب تحرى ليلة القدر ٠

(٢) صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووى ج ٨ كتاب الصيام باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها ص ٦٣ ، صحيح الإمام البخارى كتاب الصوم باب تحرى ليلة القدر ج ٣ ص ٦١ ٠

(٣) النسائى كتاب قيام الليل باب قيام شهر رمضان ج ٣ ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٣ ٠

(٤) أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ٤٣٠ ٠

عليه بها ، وهو أمر بين وعلى النظر بعد التفطن لـــــه هيــن ، ولا يهتدى له إلا من كان صادق الفكر ، شديد العبرة .

والظاهر من تعليق الإمام ابن العربى أنه مال إلى هذا الـــرأى إلا أنه بعد ذلك ذكر أن اللائق بالأحكام أن العلمـــاء اختلفـــوا فـــى تحريرها على أقوال : وأخرج ابن أبى شيبة عن أبى ذر أنه ســـئل عن ليلة القدر فقال كان عمر وحذيفة وناس من أصحـــاب رســـول الله ﷺ لا يشكون أنها ليلة سبع وعشرين [١].

واحتجوا بالحديث الصحيح [٢] : عن أبىّ ابن كعب قال ذر بـــن حبيش : سألت أبى بن كعب ، فقلت : إن أخاك ابن مسعود يقـــول : من يقم الحول يصب ليلة القدر فقـــال رحمـــه الله : أراد ألا يتكـــل الناس أما أنه قد علم أنها فى شهر رمضان ، وأنـــها فـــى العشـــر الأواخر ، وأنها ليلة سبع وعشرين ، ثم حلف لا يستثنى أنها ليلـــة سبع وعشرين . فقلت : بأى شئ تقول ذلك يا أبا المنـــذر ؟ فقـــال بالعلامة التى أخبرنا رسول الله ﷺ : " فى الشمس من صبيحتـــها " أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها .

وقد ذكر الإمام الألوسى [٣] بعض الأخبار التى يستأنس منـــها أن يكون المراد بالليلة ليلة السابع والعشرين فقال : إن العدد ســـبعة عدد تام من كون السماوات سبعاً والأرضين سبعا والأيـــام ســـبعا

---

(١) انظر : تفسير روح المعانى ج ٣٠ ص ١٩٠ .

(٢) صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووى ج ٨ كتاب الصيام باب فضـــل ليلـــة القدر والحث على طلبها ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٣) انظر : روح المعانى ج ٣٠ ص ١٩١ .

والجمار سبعاً والطواف بالبيت سبعا والسجود على سبع إلى غير ذلك مما ذكره ٠

وقال الإمام ابن حجر الهيثمى [١] : اختار جمع أنه لا تلزم ليلة بعينها من العشر الأواخر بل تنتقل فى لياليه فعاما أو أعواما تكون وتراً إحدى أو ثلاثا أو غيرهما ، وعاما أو أعواما تكون شفعا اثنتين أو أربعا أو غيرهما ٠ قالوا ولا تجتمع الأحاديث المتعارضة فيها إلا بذلك ، وكلام الشافعى ﷺ فى الجمع بين الأحاديث يقتضيه ٠

ولا يخفى أن الجمع بذلك بين الأحاديث المتعارضة فيها مطلقا مما لا يتسنى وإنما يتسنى الجمع بذلك بين الأحاديث المتعارضة فيها بالنظر إلى العشر ، وقيل فى الجمع مطلقا أنها تنتقل وما صح من التعيين فى الجملة أو على التحقيق محمول على ليلة قدر فى شهر رمضان مخصوص بأن يكون قد علم ﷺ أنها فى أول شهر رمضان فرض ليلة كذا فقال ﷺ هى ليلة كذا أى فى هذا الشهر رمضان المخصوص وعلم عليه الصلاة والسلام أنها فى شهر رمضان بعده ليلة كذا غير تلك الليلة التى ذكرها قيل فقال ﷺ هى ليلة كذا وعلم ﷺ أنها فى آخر العشر الأخير منه فقال هى فى العشر الأخير أى من هذا الشهر المخصوص وهكذا وهو كما ترى ٠

---

(١) انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٧ ص ١٤٠ ٠

وخلاصة القول : أن المولى عز وجل لم يعين ليلة القدر بنص قرآني والأحاديث كلها مختلف في تحديدها ، واضطربت أقوال السلف فيها ، صحابة ومن بعدهم حتى ظهرت لنا أقوال كثيرة ٠

ومن الواضح الذى لا يختلف عليه اثنين أن هذه الليلة فى شهر رمضان وأن جميع الأقوال لم تخالف ذلك فقد كرم الله هذا الشهر بهذه الليلة وهى ليلة نزول القرآن ٠

وأن هذه الليلة تختلف على مدار السنين من وقت نزول القرآن أول مرة إلى أن تقوم الساعة ٠

وان اختلاف الروايات إنما قصد به حث المؤمنين على إحيائها بالعبادة ، وبالتالى نكون قد وفقنا بين الروايات ٠

قال النسفى فى " المعظومة " [١].

وليلة القدر بكل الشهر — دائرة وعيناها قادر

والله أعلم

هذا والأقوال كثيرة مبسوطة فى كتب التفسير [٢] ٠

---

(١) انظر : البيت فى فتح البارى ج ٤ ص ٢٦٣ ٠

(٢) تفسير الإمام الألوسى ج ٣٠ ص ١٩٢ ، تفسير الإمام أبى السعود ج ٩ ص١٨٢ ، تفسير الإمام البغوى ج ٤ ص ٤٧٧ ، تفسير فتح القدير ج ٥ ص٤٧٢ ، تفسير الإمام القاسمى ج١٧ ، ص ٦٢٢٢ تفسير الإمام القرطبى ج ٢٠ ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، تفسير ابن العربى ج ٤ ص ٤٣٠ ، ٤٣١ ، تفسير السيد قطب ج ٦ ص ٣٩٤٤ ، ٣٩٤٥ ، تفسير الإمام النسفى ج ١١ ص ١٦١٦ ، تفسير الإمام ابن كثير ج ٤ ص ٥٣١ إلى ٥٣٣ ، تفسير الإمام الفخر الرازى ج ٣٢ ، ص ٢٩ ٠

ثانيا : الحكمة من إخفاء تعيين ليلة القدر :

لكل شئ قدره المولى عز وجل حكمة ولكن قد تظهر لنا هذه الحكمة أو تخفى والعلماء يقولون إن إخفاء تعيين ليلة القدر على المؤمنين لحكم كثيرة ظهر لدينا البعض ، ولكن المعنى العام أن في إخفائها الخير مستنبطين ذلك من قول رسول الله ﷺ : "فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم ... " (١)

فذلك تنبيه من خير خلق الله على أن رفعها خيرا يريد بذلك بيان أن إخفاءها يستدعى قيام الشهر كله أو العشر الأواخر ، بخلاف لو تحدد وقتها ٠

يقول الإمام النسفى (٢) : " ولعل الداعى إلى إخفائها أن يحيى من يريدها الليالى الكثيرة طلبا لموافقتها ، وهذا كإخفاء الصلاة الوسطى واسمه الأعظم وساعة الإجابة فى الجمعة ، ورضاه فى الطاعات ، وغضبه فى المعاصى "

ويقول الإمام الطبرى (٣) : " فى إخفاء ليلة القدر دليل على كذب من زعم أنه يظهر فى تلك الليلة للعيون مالا يظهر فى سائر السنة ٠ إذ لو كان ذلك حقا ، لم يخف على كل من قام ليالى السنة ، فضلا عن ليالى رمضان " ٠ والله أعلم ٠

---

(١) صحيح الإمام البخارى ج ٣ كتاب الصيام باب تحرى ليلة القدر ص ٦١ ٠

(٢) انظر : الأساس فى التفسير م ١١ ص ١٦١٦ ، انظر : تفسير الإمام البغوى ج ٤ ص ٤٧٩ ، تفسير الإمام أبى السعود ج ٩ ص ١٨٢ ٠

(٣) تفسير الإمام الطبرى ج ٣٠ ص ١٦٧ ٠

ثالثا : علامات هذه الليلة مع استحباب كتمانها لمن رآها :

أولا : علامات هذه الليلة :

ذكر العلماء أن لليلة القدر علامات منها أن الشمس تطلع في صبيحتها بيضاء لا شعاع لها .

وقال الحسن قال النبى ﷺ فى ليلة القدر : " إن من أماراتها : أنها ليلة سمحة بلجة [1] ، لا حارة ولا باردة ، تطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع " .

وعن عبادة بن الصامت قال من أماراتها أنها ليلة بلجة صافية ساكنة لا حارة ولا باردة كأن فيها قمرا ساطعا لا يرمى فيها بنجم حتى الصباح .

قال أبى : والله الذى لا إله إلا هو أنها لفى رمضان " يحلف ما يستثنى ووالله إنى لأعلم أى ليلة هى هى الليلة التى أمرنا بها رسول الله ﷺ بقيامها هى ليلة صبيحة سبع وعشرين وأمارتها أن تطلع الشمس فى صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها " [2].

ومعنى لا شعاع لها أنها علامة جعلها الله تعالى لها قال وقيل بل لكثرة اختلاف الملائكة فى ليلتها ونزولها إلى الأرض

---

(١) بلجة : أى مشرقة ، انظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ج ١ ص ١٥١ .

(٢) صحيح الإمام مسلم بشرح النووى ج ٦ ليلة القدر وقيامها ص ٤٣ ، ج٨ كتاب الصوم باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها ص ٦٥ .

وصعودها بما تنزل به سترت بأجنحتها وأجسامها اللطيفة ضوء الشمس وشعاعها والله أعلم [1].

ومن علامتها أيضا نزول المطر قال ﷺ : " أريت ليلة القدر ثم أنسيتها وأرانى صبحها أسجد فى ماء وطين " [2].

ثانيا : استحباب كتمان ليلة القدر لمن رآها :

قال العلماء يستحب لمن رأى ليلة القدر وشاهدها أن يكتم ذلك ولا يقول به لأحد .

والدليل على ذلك : إخفاء معرفة ليلة القدر بعينها على الرسول ﷺ .

قال ﷺ : " ... فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة " [3].

---

(١) انظر : شرح الإمام النووى على صحيح مسلم ج ٨ كتاب الصوم باب فضل ليلة القدر ص ٦٥ ، وانظر : تفسير الإمام القرطبى ج ٢٠ ص ١٣٧ ، تفسير الفخر الرازى ج ٣٢ ص ٣٦ ، وتفسير الإمام الألوسى ج ٣٠ ص١٩٢ تفسير الإمام البغوى ج ٤ ص ٤٣٣ ، تفسير ابن كثير ج ٤ ص٥٣١ ، ٥٣٢ ، تفسير ابن العربى ج ٤ ص ٤٣٣ .

(٢) صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووى كتاب الصوم باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها ج ٨ ص ٦٤ .
وصحيح الإمام البخارى – كتاب الاعتكاف ، باب الاعتكاف فى العشر الأواخر ج ٣ ص ٦٢ .
وموطأ الإمام مالك كتاب الاعتكاف ٦ ، باب ما جاء فى ليلة القدر ج ١ ص٣١٩ .

(٣) صحيح الإمام البخارى بشرح ابن حجر ٣٢ ، كتاب فضل ليلة القدر ج ٤ ص٢٦٠ .

وذكر الإمام ابن حجر [1] ما استنبطه الإمام السبكى الكبير من هذا الحديث وهو : استحباب كتمان ليلة القدر لمن رآها ٠

ووجه الدلالة أن الله قدر لنبيه أنه لم يخبر بها ، والخبر كله فيما قدر له ، فيستحب اتباعه فى ذلك ٠

وقول رسول الله ﷺ : " رفعت " أى رفع العلم بتعيينها ، وفى رواية : " نسيتها أو أنسيتها " دليل على استحباب كتمانها ٠

قال رسول الله ﷺ : " رأيت ليلة القدر ثم أيقظنى بعض أهلى فنسيتها فالتمسوها فى العشر الأواخر " [2].

الحكمة من كتمان رؤيتها على الغير

والحكمة فى ذلك أنها كرامة ينبغى كتمانها بلا خلاف بين أهل الطريق من جهة رؤية النفس فلا يأمن من السلب ، ومن جهة ألايأمن الرياب ، ومن جهة الأدب فلا يتشاغل عن الشكر لله بالنظر إليها وذكرها للناس ٠

ومن جهة أنه لا يأمن الحسد فيوقع غيره فى المحظور ويستأنس له بقول يعقوب عليه السلام : " يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك " [3].

---

(١) انظر : فتح البارى ٣٢ كتاب فضل ليلة القدر ج ٤ ص ٢٦٨ ٠

(٢) صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووى كتاب الصيام باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها ج ٨ ص ٦٠ ٠

(٣) سورة يوسف الآية ٥ ، وانظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى كتاب فضل ليلة القدر ج ٤ ص ٢٦٨ ٠

رابعا : الخصام كان سببا لرفع تعيين ليلة القدر :

حدث أن تشاجر رجلان وتخاصما وكانت خصومتهما سببا لرفع معرفة ليلة القدر ٠ فعن عبادة بن الصامت ﷺ قال : خرج النبى ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى [1] رجلان من المسلمين ، فقال : خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة " [2] ٠

اختلف العلماء فى بقاء هذه الليلة حتى قيام الساعة وهل رفعت كما جاء فى نص الحديث " فرفعت " بسبب تشاجر الخصمين وإليك تحقيق القول فى هذه المسألة :

قال الإمام ابن حجر [3] : " بسبب تلاحى الناس ، وقيد الرفع بمعرفة إشارة إلى أنها لم ترفع أصلا ورأسا ٠

قال الزين بن المنبر : يستفاد هذا التقييد من قوله " التمسوها " بعد إخبارهم بأنها رفعت ، ومن كون أن وقوع التلاحى فى تلك الليلة لا يستلزم وقوعه فيما بعد ذلك ، ومن قوله " فعسى أن يكون

---

(١) معنى تلاحى : أى وقعت بين الرجلين ملاحاة وهى المخاصمة والمنازعة ٠

(٢) انظر : صحيح الإمام البخارى بشرح فتح البارى كتاب فضل ليلة القدر ج ٤ ص ٢٦٧ ، وانظر : موطأ الإمام مالك ج ١ كتاب الاعتكاف ص ٣٢٠ ٠

(٣) انظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٤ كتاب فضل ليلة القدر ص٢٦٧ ، ٢٦٨ ٠

خيرا " فإن وجه الخيرية من جهة أن خفاءها يستدعى قيام كل الشهر أو العشر بخلاف لو بقيت معرفة تعيينها ٠

فتبين من هذا الحديث وغيره أن سبب النسيان كان بسبب المنازعة التى وقعت بين الرجلين ٠

وذكر الإمام مسلم [١] : فى صحيحه أن سبب النسيان هو ايقاظ رسول الله ﷺ فقال : عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " أريت ليلة القدر ثم أيقظنى بعض أهلى فنسيتها " فهذا سبب آخر ٠

والتوفيق بين الروايتين بعدة احتمالات :

الأول : إما أن تحمل على التعدد بأن تكون الرؤيا فى حديث أبى هريرة مناما فيكون سبب النسيان الإيقاظ ، وأن تكون الرؤية فى حديث غيره فى اليقظة فيكون سبب النسيان ما ذكر من المخاصمة ٠

الثانى : يحمل على اتحاد القصة ، ويكون النسيان وقع مرتين عن سببين ٠

الثالث : ويحتمل أن يكون المعنى أيقظنى أهلى فسمعت تلاحى الرجلين فقمت لأحجز بينهما فنسيتها للإنشغال بهما ٠

ويوقى الإمام ابن حجر العسقلانى الاحتمال الأول وهو الحمل على التعدد بما روى من مرسل سعيد بن المسيب أنه ﷺ قال : ألا أخبركم بليلة القدر ؟ قالوا : بلى : فسكت ساعة ثم قال : لقد قلت

---

(١) صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووى ج ٨ كتاب الصيام ص ٦٣ ٠

لكم وأنا أعلمها ثم أنسيتها " فلم يذكر سبب النسيان وهو ما يقوى الحمل على التعدد ٠

ويؤكد الإمام الفخر الرازى [١] أن جمهور العلماء يقولون ببقائها ٠

ويفرق إن من قال إن فضلها لنزول القرآن فيها يقول انقطعت وكانت مرة ٠

والجمهور يقولون أن هذه الليلة مختصة بشهر رمضان واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن** ﴾[٢] وقوله ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر** ﴾ [٣] فوجب أن تكون ليلة القدر فى رمضان ٠

ويؤكد لنا الإمام ابن كثير [٤] أن المراد بالرفع فى الحديث هو رفع علم وقتها عينا لا أنها رفعت بالكلية من الوجود كما يقول جهلة الشيعة ، فهى باقية إلى يوم القيامة فى كل سنة بعد النبى ﷺ واستدل بحديث الإمام أحمد بن حنبل [٥] قال حدثنى مرثد قال سألت أبا ذر قلت كيف سألت رسول الله ﷺ عن ليلة القدر ؟ قال

---

(١) انظر : تفسير الإمام الفخر الرازى ج ٣٢ ص ٢٩ ٠

(٢) سورة البقرة الآية (١٨٥) ٠

(٣) سورة القدر الآية ١ ٠

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٣٢ ، ٥٣٤ ٠

(٥) مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ٢٤ ، ص ٦٠ ، ٧٤ ، ٧٦ ٠

أنا كنت أسأل الناس عنها قلت يا رسول الله أخبرنى عن ليلة القدر أفى رمضان هى أو فى غيره ؟ قال : " بل هى فى رمضان " قلت تكون مع الأنبياء ما كانوا فإذا قبضوا رفعت أم هى إلى يوم القيامة ؟ قال : " بل هى إلى يوم القيامة " قلت فى أى رمضان هى قال : " التمسوها فى العشر الأول ، والعشر الأخر " ثم حدث رسول الله ﷺ وحدث ثم اهتبلت غفلته قلت فى أى العشرين هى ؟ قال : " ابتغوها فى العشر الأواخر ، لا تسألنى عن شئ بعدها " ثم حدث رسول الله ﷺ ثم اهتبلت غفلته فقلت يا رسول الله أقسمت عليك بحقى عليك لما أخبرتنى فى أى العشر هى ؟ فغضب على غضبا لم يغضب مثله منذ صحبته وقال : " التمسوها فى السبع الأواخر ولا تسألنى عن شئ بعدها "

وقد فسر لنا الإمام ابن حجر أن قوله ﷺ : " فرفعت " له عدة احتمالات :

الأول : أن لفظ " فرفعت " المراد به الرفع من قلبه فنسيت تعيينها للإنشغال المتخاصمين ٠

الثانى : وقيل : المعنى رفعت بركتها فى تلك السنة ٠

الثالث : وقيل التاء فى رفعت للملائكة لا لليلة ٠

وأكد الطيبى أن المراد بها رفع معرفتها ، والحامل له على ذلك أن رفعها مسبوق بوقوعها فإذا وقعت لم يكن لرفعها معنى ،

قال ويمكن أن يقال المراد برفعها : أنـــها شـــرعت أن تقـــع فلمـــا تخاصما رفعت بعد ، فنزل الشروع منزلة الوقوع [1].

وخلاصة القول : أن الليلة لم ترفع وأن الذى رفع هـــو العلـــم بتعيينها ، وعلمنا أن الملاحاة والخصومات تمنع الخير لذا من كانت بينه وبين أخيه المسلم خصومة فليبادر بالصلح ومن كـــانت بينـــه وبين أحد أرحامه قطيعة فليصل رحمه ، فإن الخير يتلاشـــى مـــن على الأرض ويحل مكانه الشر بسبب الخصومات التـــى لا ينشـــأ عنها إلا البغض والكراهية وتفكك المجتمع المسلم ٠

وقد وفق الإمام القاسمى [2] بين القول بالرفع وعدمه فقـــال : وعندى أن لا تنافى لأن المراد بالقول بالرفع هو ليلة نزول القـــرآن وما كان فيها من التجلى الخاص التى انفردت به ، والثانية هو مـــا يوافق تلك الليلة من رمضان كل عام ، هى ليلة فيها مزيـــة علـــى غيرها ، بفضل اختصت به دون غيرها وهذا هو السر فـــى قيـــام رمضان والتماسها فى العشر الأواخر منه ٠ أعنى إحياء ما ماثلـــها من الليالى تبركا وتيمنا وشكرا لله تعالى على تلك النعمة والهداية ٠

فالقائم فى ليالى العشر الأخير ، أو فى رمضـــان ، مصـــادف البتة لما ماثل تلك الليلة ، لأنها منه قطعا ٠

---

(١) انظر : فتح البارى ج ٤ ص ٢٦٨ ٠

(٢) انظر : تفسير الإمام القاسمى ج ١٧ ، ص ٦٢٢٢ ، ٦٢٢٣ ٠

هل يحصل الثواب المترتب على ليلة القدر لمن أقامها ، أو يتوقف ذلك على كشفها له ؟

يحصل الثواب على نية الإنسان وإخلاصه فى العبادة لذلك قال أكثر العلماء : إن الثواب المترتب على ليلة القدر يحصل لمن أقامها وأخلص العبادة فيها وإن لم يظهر له شئ ، ولا يتوقف الفصل الحاصل على كشفها أو ظهور شئ من العلامات .

اختلف العلماء هل كانت ليلة القدر فى الأمم السالفة أم هى من خصائص هذه الأمة ؟

للعلماء قولان فى هذه المسألة :

القول الأول : أن ليلة القدر من خصائص الأمة المحمدية وعليه جمهور العلماء واستدلوا بحديث الإمام مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ رأى أعمار الناس قبله ، أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر ، فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر " [١].

القول الثانى : أن ليلة القدر كانت فى الأمم السابقة ، واستدلوا بحديث الإمام أحمد بن حنبل [٢] عن مرثد قال : سألت أبا ذر قلت : كيف سألت رسول الله ﷺ عن ليلة القدر ؟ قال : أنا كنت أسأل الناس عنها ، قلت يا رسول الله أخبرنى عن ليلة القدر أفى

(١) موطأ الإمام مالك ج ١ كتاب الاعتكاف باب ٦ حديث رقم ٣٢١ .

(٢) مسند أحمد ج ١ ص ٢٩٦ ، ج ٣ ص ٣٣٦ .

الناس عنها ، قلت يا رسول الله أخبرنى عن ليلة القدر أفى رمضان هى أو فى غيره ؟ قال : " بل هى فى رمضان " قلت : تكون مع الأنبياء ما كانوا فإذا قبضوا رفعت أم هى إلى يوم القيامة ؟ قال : بل هى إلى يوم القيامة " قلت فى أى رمضان هى ؟ قال : التمسوها فى العشر الأول والعشر الأخر " .

والرأى الأرجح الذى عليه جمهور العلماء أنها خاصة بأمة محمد ﷺ وقد بنيت رأيى على الآتى :

الأول : أن هذه الليلة مكرمة مباركة بسبب نزول القرآن الكريم فيها ، والقرآن الكريم هو كتاب أمة محمد .

الثانى : رواية الإمام مالك التى تفيد أن المولى عز وجل أعطى أمة محمد ليلة خير من ألف شهر فالعبادة فيها تعادل عبادة ألف شهر وذلك عندما تقاصر رسول الله ﷺ أعمار أمة .

والله أعلم .

فضـــل ليلـــة القـــدر

إن المولى عز وجل فضل بعض الأشياء على بعض فقد فضل رسوله محمد ﷺ على ســـائر الرســـل ، فجعلـــه خـــاتم الأنبيـــاء والمرسلين ، وكرمه بكتاب عظيم جعله دستورا للبشـــرية أجمعيـــن وميزه عن غيره بأنه الكتاب الخالد إلى يوم الدين ، فـــهو الفصـــل ليس بالهزل وهو الحجة المهداة من رب العالمين ٠

وقد ميز المولى عز وجل شهر رمضان على شهور السنة لأنه شهر القرآن ، وميز ليلة القدر على سائر لياليه لأن فيـــها يشـــرف العباد وتقدر الأعمال ، وتتنزل الملائكة والروح ، ويفصل فيها كـــل أمر حكيم ، ليلة القرآن من أحياها سعد لأنها ليلة مفضلة مشرفة بل لها مزيد فضل وبركة فمن فضائلها :

١ ــ أنها ليلة خير من ألف شهر قال تعالى : ﴿ **ليلة القـــدر خـــير من ألف شهر** ﴾ [١] فلقيام ليلة القدر فضل وافر لأن الله تعـــالى جعلها خيرا من ألف شهر ليس فيها ليلة قـــدر فـــهذا يفيـــد أن العبادة فيها تكون أعظم شأنا منها فى غيرها ٠

٢ ــ ومن فضائل هذه الليلة غفران الذنوب فعن أبى هريـــرة رضي الله عنه قال : " من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم مـــن

---

(١) سورة القدر الآية ٢ ٠

ذنبه وما تأخر ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه " [1].

وفى رواية : " غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر " ورواية الإمام مسلم : " من يقم ليلة القدر فيوافقها إيمانا واحتسابا غفر له " [2].

فقد وعد المولى عز وجل بثواب الصائمين وتكفل به كما جاء فى الحديث القدسى : " كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فهو لى وأنا أجزى به " [3]

فمن صام الشهر طلبا لوجه الله لا لشئ آخر من رياء وسمعه فله أعظم أجر وهو غفران الذنوب ٠

ويقول العلماء : فى اطلاق قوله ﷺ : " غفر له ما تقدم من ذنبه " أى ذنب فهذا يشمل الصغائر والكبائر ويقول الإمام النووى : المعروف أنه يختص بالصغائر ٠

---

(١) صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووى ج ٦ الترغيب والترهيب فى صلاة التراويح ص ٤٠ ، ٤١ ، وسنن النسائى ج ٤ كتاب الصيام ثواب من قام رمضان إيمانا واحتسابا ص ١٥٥ : ١٥٧ ٠

(٢) صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووى ج ٦ الترغيب فى صلاة التراويح ص ٤١ ٠

(٣) صحيح الإمام البخارى كتاب الصوم باب فضل الصوم ص ٣١ ، صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووى ج ٨ كتاب الصوم باب فضل الصوم ص٢٩ ٠

وبه جزم إمام الحرمين ، ويجوز أن يخفف من الكبائر إذا لم يصادف صغيره .

وفى لفظ بعض الروايات تفيد أن قيام ليلة القدر تغفر ما تقدم وما تأخر فكيف تغفر الذنوب المتأخرة التى لم تفعل بعد ؟

ويجاب على ذلك بما روى فى شأن أهل بدر : " اعملوا ما شئتم فقد غفر لكم "[1].

ويستفاد من هذا الجواب الآتى :

١ ــ إنه كناية عن حفظهم من الكبائر فلا تقع .

٢ ــ وقيل معناه : إن ذنوبهم تقع مغفورة .

ويميل العقل وكذلك النفس إلى القول الأول وهو حفظ المولى عز وجل لهم من ارتكاب الكبائر . والله أعلم

٣ ــ ويكون فضل هذه الليلة أيضا فيما يوجد فيها من المصالح الدنيوية التى ذكرها المولى عز وجل فى قوله تعالى : ﴿ **تنزل الملائكة والروح فيها** ﴾[2] وقوله : ﴿ **فيها يفرق كل أمر حكيم** ﴾[3] .

---

(١) صحيح الإمام البخارى ج ٥ باب فضل من شهد بدر ص ٩٩ .

(٢) سورة القدر الآية ٣ .

(٣) سورة الدخان الآية ٤ .

فبينت الآية الأولى أن سبب ارتقاء فضلها إلى هذه الغاية نزول الملائكة والروح فيها وأضافت الآية الثانية أن هذه الليلة يفصل الأمر فيها ٠

وذكر الإمام ابن كثير [1] : " أن فى هذه الليلة تنزل الملائكة وتسلم على أهل المساجد حتى يطلع الفجر ٠ ويكثر نزول الملائكة فى هذه الليلة لكثرة بركتها والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة كما ينزلون عند تلاوة القرآن ٠

وقال : إن هذه الليلة سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوء أو يعمل فيها أذى ٠

وقال قتادة وغيره تقضى فيها الأمور وتقدر الآجال والأرزاق ٠

وخلاصة القول : أن ليلة القدر أشرف الليالى وأفضلها وأن المولى عز وجل جعل أعظم ثواب لمن أقامها وهو غفران الذنوب ٠

وأن هذه الليلة تقدر فيها الأقدار ويفصل فيها كل أمر حكيم ، وتنزل الملائكة لتشهد عبادة من قامها وتسلم عليهم وتباركهم بأمر ربهم وهى خير من عبادة ألف شهر ليس فيه ليلة القدر ٠

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٣١ ، تفسير الإمام القرطبى ج ٢٠ ص١٣٧ ، تفسير الكشاف ج ٤ ص ٢٧٣ ٠

فما أحوجنا لفضل هذه الليلة التى لم تبلغ درايتنا غاية فضلـــها ومنتهى علو قدرها فهى هبة لأمة محمد ﷺ وعلينا قبولها والعمـــل فيها بالدعاء والصلاة وصلة الرحم وكل أعمال الخير ٠ والله أعلم

وقد اختلف العلماء فى كون ليلة القدر أفضل من ليلة الجمعـة أو العكس على قولين :

القول الأول : القائل بأن ليلة القدر أفضل من ليلة الجمعـــة ٠

واستدلوا بالآتى :

١ ـــ أن ظاهر الآية أنها أفضل من ليلة الجمعة ٠

٢ ـــ لأن الله تعالى أنزل فيها القرآن الكريم ٠

٣ ـــ لأن الله أمر بطلبها فعن ابن عباس أنه قال فى قوله تعـــالى :

﴿ **وابتغوا ما كتب الله لكم ليلة القدر** ﴾ أى التقدير ٠

٤ ـــ لأنه عز وجل جعلها ليلة الفرق والحكم فقال جل شأنه ﴿ **فيها يفرق كل أمر حكيم** ﴾ ٠

٥ ـــ ولما روى عن كعب أنه قال إن الله تعالى اختـــار الســـاعات فاختار ساعات أوقات الصلاة واختار الأيام فاختار يوم الجمعـة واختار الشهور فاختار شهر رمضان واختار الليـــالى فاختـــار ليلة القدر فهى أفضل ليلة فى أفضل شهر ٠

٦ ـــ ولأن النبى ﷺ حث على العمل فيها فقد صح من قـــام ليلـــة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وفى رواية ومـــا تأخر ٠

٧ ــ نهى ﷺ أن يخص ليلة الجمعة بقيام ويومها بصيام ٠

٨ ــ لأنه سبحانه وتعالى أخفى ليلة القدر ولم يعينها كما أخفى سبحانه أعظم أسمائه عز وجل وكما أخفى جل شأنه أفضل الصلوات وهى الصلاة الوسطى ٠

القول الثانى : القائل بان ليلة الجمعة أفضل من ليلة القدر ، وذهب إليه أكثر الحنابلة كأبى الحسن الجزرى وعبد الله ابن بطه وأبى حفص البرمكى وغيرهم ٠

واستدلوا بالآتى :

١ ــ ما أخرج مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " يغفر الله تعالى ليلة الجمعة لأهل الإسلام أجمعين " وهذه فضيلة لم تجئ لغيرها ، ونحوه ما روى عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ ما من ليلة جمعة إلا وينظر الله تعالى إلى خلقه ثلاث مرات فيغفر لمن لا يشرك بالله تعالى شيئا " ٠

٢ ــ عن عمر رضي الله عنه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال : " أكثروا الصلاة على فى ليلة الغراء " واليوم الأزهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة والغرة من الشئ خياره ولأنه قد روى كثيرون منهم الإمام احمدان يومها سيد الأيام وأعظمها وأعظم عند الله تعالى من يوم الفطر ويوم الأضحى ٠

٣ ـ وصحح ابن حبان خبر لا تطلع الشمس [١] ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة فهى لذلك سيدة الليالى وأعظمها وأفضلها ٠

٤ ـ لأنها معينة مشهودة يشهدها الخاص والعام من ذكر وأنثى وصغير وكبير وبصير وضرير وتصل بركتها إلى الأحياء والأموات ، وليلة القدر غير معينة فلا ينتفع بها إلا قليل ٠

٥ ـ أجابوا عن الآية بأنه لما أريد فيها أنها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر فليرد أيضا أنها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة جمعة ويدل للأمرين أن أكثر أسباب النزول تدل على أن المراد بالشهور شهور من تقدمنا وهى ليس فيها ليلة قدر ولا ليلة جمعة ٠

التوفيق بين القولين : قال أحمد بن الحسين بن يعقوب بن قاسم المقرى من الحنابلة أن القولين فى المسألة قولان شائعان بين الأصحاب وكل دلائل تدل على صوابه فلا ينبغى لأحد أن يطلق الخطأ على قائل كل منهما وأنت بعد التأمل فى أدلة الطرفين والوقوف على أحوالها يتعين عندك أفضلية ليلة القدر وتعين ليلة الجمعة ٠

---

(١) جزء من حديث طويل فى موطأ مالك ـ كتاب الجمعة رقم ١٦ ج ١ ص١٠٨ ٠

وههنا قول متوسط بين القولين ، حكى القاضى أبو يعلى أن أبا الحسن التميمى من الحنابلة أيضا كان يقول ليلة القدر التى أنزل فيها القرآن أفضل من ليلة الجمعة لما حصل فيها من الخير الكثير الذى لم يحصل فى غيرها فأما أمثالها من ليالى القدر فليلة الجمعة أفضل منها ، وقيل نظيره فى ليلة المعراج مع ليلة الجمعة ونحوها ثم إن ظاهر كلام بعض الحنفية كصاحب الجوهرة أن ليلة النحر أفضل من ليلة القدر وسائر ليالى السنة ويرد عليه ظاهر الآية أيضا ولعله يجيب بنحو ما سبق آنفا .

يقول الشاعر :

وكل ليالى ليلة القدر إن دنت كما كل أيام اللقا يوم جمعة [1]

---

(١) انظر : المسألة بالتفصيل فى روح المعانى للألوسى ج ٣ ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

الدعاء المستحب فى ليلة القدر

لقد علمنا أن المولى عز وجل رفع معرفة ليلة القدر أى تعيينها لتعم العبادة جميع الشهر ويكون الاجتهاد أكثر فى العشر الأواخر من رمضان .

والعبادة تكون بأشكال مختلفة فتشمل الصلاة والدعاء والابتهال إلى الله وأفضل الدعاء فى هذه الليلة ما أخبرنا به سيد الخلق أجمعين ليكون دعاء لسيدة الليالى فقد رويت عدة روايات فى هذا الشأن كلها تدور على أن خير دعاء فى هذه الليلة هو قولنا : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى .

فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت يا رسول الله إن رافقت ليلة القدر فما أدعو ؟ قال " قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى " (١).

فالمؤمن يحتاج إلى عفو ربه ، بأن يمحو عنه الذنوب أو أن يعفو الله بتركه العقوبة على الذنب لأنه قادر على المعاقبة .

وهو دعاء شامل جامع تقبله الله وجعلنا ممن يشملون عفوه .

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٦ ص ١٧١ ، ١٨٢ ، صحيح الترمذى كتاب الدعوات ج ٥ ص ٥١٦ ، باب جامع الدعوات فى العفو والعافية ، وقال حسن صحيح ، ابن ماجه ج ٢ ـ الدعاء بالعفو والعافية ١٢٦٥ ، وأخرجه الحاكم فى مستدركه كتاب الدعاء ـ باب الدعاء فى ليلة القدر ج ١ ص ٥٣٠ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وأخرجه النسائى فى السنن الكبرى ـ كتاب الرؤيا ج ٤ ص ٤٠٧ ، حديث رقم ٧١٢ بلفظ الحاكم ، وانظر : تفسير الإمام القرطبى ج ٢ ص ١٣٨ ، وابن كثير ج ٤ ص ٥٣٤ .

ثالثا : الآية الثانية :

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾

ـ معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ .

ـ بيان دلالة الأستفهام فى قوله ﴿ وما أدراك ﴾ .

الآية الثانية :

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾

معنى قوله تعالى : **﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾** يخبرنا المولى عز وجل أن ليلة القدر من الليالى التى يصعب معرفة كهنها لما فيها من الدلالة على أن علوها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يعلم ذلك ولا يعلم به إلا علام الغيوب ٠

يقول الإمام ابن حبان [1] فى قوله تعالى : **﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾** تفخيم لشأنها ، أى لم تبلغ درايتك غاية فضلها ، ثم يبين له ذلك ٠

قال سفيان بن عيينة : ما كان فى القرآن **﴿ وما أدراك ﴾** فقد أعلمه ، وما قال : وما يدريك ، فإنه لم يعلمه ، ويقول الإمام الطبرى [2] : وقوله **﴿ وما أدراك ما ليلة القدر ﴾** يقول وما أشعرك يا محمد أى شئ ليلة القدر ٠

الاستفهام هنا يعتبر تنويه المراد به التنبيه على أن إدراك معرفة ما تنطوى عليه هذه الليلة من فضائل ليس من الأمر السهل وذلك لما فيها من فضائل جمة ، لذلك عبر المولى عز وجل بلفظ **﴿ وما أدراك ﴾** وهى كلمة تقال لتفخيم الشئ وتعظيمه ٠

---

(١) انظر : البحر المحيط ج ١٠ م ٣٣ ص ٥١٤ ، وانظر : فتح القدير ج ٥ ص٤٧٢ ٠

(٢) انظر : تفسير الطبرى ج ٣٠ ص ١٦٧ ٠

وقد أخبرنا الإمام القاسمى [1] عند شرحه لقوله تعالى : ﴿ **وما أدراك ..** ﴾ أن الاستفهام دال على أن شرفها ليس مما تسهل إحاطة العلم به .

ثم بين لنا أن قوله عز وجل : ﴿ **وما أدراك** ﴾ جار على عادتهم فى الخطاب لأن المولى عز وجل خبير عليم لا يستفهم عن شئ فهو علام الغيوب لا يغيب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض .

---

(١) تفسير الإمام القاسمى ج ١٧ ص ٦٢٢٠ .

رابعا : الآية الثالثة :

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾

ـ بيان الخيرية ٠

ـ كيف تستوى عبادة ليلة واحدة بعبادة ألف شهر ٠

ـ الحكمة من إظهار " ليلة القدر " فى المواضع الثلاثة ٠

ـ الإعراب ٠

الآية الثالثة :

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ ٠

بيان الخيريه :

فى قوله تعالى : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ ٠

قال الإمام النسفى (١) : أن العمل فى هذه الليلة والصيام والقيام فيها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة قدر ٠

وروى الإمام أحمد (٢) عن أبى هريرة ﷺ قال : " لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ : " قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم " ٠

ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ثبت فى الصحيحين (٣) عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه " ٠

والآية تشعر ببيان إجمالى لشأنها إثر تشويقه ﷺ إلى درايتها فإن ذلك معرب عن الوعد بإدرائها ٠

---

(١) انظر : الأساس فى التفسير م ١١ ص ٦٦١٦ ، وانظره فى تفسير ابن كثير ج٤ ص ٥٢٩ ، وتفسير البغوى ج ٤ ص ٤٧٩ ٠

(٢) رواه أحمد فى مسنده ج ٢ ص ٥١٩ ٠

(٣) سبق تخريجه ٠

يقول الشيخ ابن عاشور [1] : " إن الآية بيان أول لشئ من الإبهام الذى فى قوله ﴿ **وما أدراك ما ليلة القدر** ﴾ مثل البيان فى قوله ﴿ **وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام** ﴾ [2] فلذلك فصلت الجملة لأنها استئناف بيانى ، أو لأنها كعطف البيان .

وهنا يقال كيف تستوى عبادة ليلة واحدة بعبادة ألف شهر ؟

يقول الإمام الرازى [3] من المعلوم أن الطاعة فى ألف شهر أشق من الطاعة فى ليلة واحدة فكيف يعقل استواؤهما ؟

<u>ثم ذكر الجواب على ذلك من وجوه :</u>

أحدها : أن الفعل الواحد قد يختلف حاله فى الحسن والقبح بسبب اختلاف الوجوه المنضمة إليه ، ألا ترى أن صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بكذا درجة ، مع أن الصورة قد تنتقض فإن المسبوق سقطت عنه ركعة واحدة ... فلا يبعد أن تكون الطاعة القليلة فى الصورة مساوية فى الثواب للطاعات الكثيرة .

الوجه الثانى : أن مقصود الحكيم سبحانه أن يجر الخلق إلى الطاعات فتارة يجعل ثمن الطاعة ضعفين ، فقال : ﴿ **إن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا** ﴾ [4] ومرة عشرا ومرة سبعمائة وتارة

---

(1) التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٤٥٩ .

(2) سورة البلد الآية ١٢ .

(3) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٣٢ ص ٣١ ، ٣٢ .

(4) سورة الشرح الآية رقم ٥ .

بحسب الأزمنة ، وتارة بحسب الأمكنة والمقصود الأصلى من الكل جر المكلف إلى الطاعة وصرفه عن الاشتغال بالدنيا ، فتارة يرجح البيت وزمزم على سائر البلاد وتارة يفضل رمضان على سائر الشهور ، وتارة يفضل الجمعة على سائر الأيام ، وتارة يفضل ليلة القدر على سائر الليالى .

ـ قال كثير من المفسرين : أى العمل فيها خير من العمل فى ألف شهر فليس فيها ليلة القدر .

والأوقات تفضل بعضها على بعض بما يكون فيها من الخير والنفع ، فلما جعل الله الخير الكثير فى ليلة كانت خيراً من ألف شهر لا يكون فيها من الخير والبركة ما فى هذه الليلة .

ـ وقيل : أراد بقوله ألف شهر جميع الدهر ، لأن العرب تذكر الألف فى كثير من الأشياء على طريق المبالغة .

ـ وقيل : وجه ذكر الألف الشهر ، أن العابد كان فيما مضى لا يسمى عابداً حتى يعبد الله ألف شهر .

وذلك ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر ، فجعل الله سبحانه لأمة محمد عبادة ليلة حيراً من عبادة ألف شهر كانوا يعبدونها .

ـ وقيل : إن النبى ﷺ رأى أعمار أمته قصيرة فخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم فى طول العمر ، فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر لسائر الأمم .

ـ وقيل : إن المراد بالعدد (الألف) التكثير وأنه لا مفهوم له .

ـ ويرجح الإمام ابن حيان [1] أن عدد (الألف) مراد وخير ما قيل في هذا ما قاله الإمام القاسمي في تفسيره " ولك أن تقف في التفضيل عند النص ، وتفوض الأمر في تحديد ما فضلت عليه الليلة بألف شهر إلى الله تعالى فهو الذي يعلم سبب ذلك ولم يبينه لنا ...

فيكون التحديد بالألف لا مفهوم له ، بل الغرض منه التكثير وإن أقل عدد تفضله هو ألف شهر ، ثم إن درجات فضلها على هذا العدد غير محصورة [2].

الحكمة من اظهار (ليلة القدر) في المواضع الثلاثة :

أعيد اسم (**ليلة القدر**) الذي ذكر قريبا في قوله تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ ، على خلاف مقتضى الظاهر لأن مقتضى الظاهر الإضمار .

والحكمة من ذلك الإهتمام بتعيينها ، فحصل تعظيم هذه الليلة صريحا وحصلت كناية عن تعظيم ما أنزل فيها وهو القرآن الكريم وأن المولى عز وجل اختار إنزاله فيها ليتطابق الشرفان ، شرف هذه الليلة وفضلها وشرف نزول القرآن الكريم فيها .

(١) البحر المحيط ج ١٠ ص ٥١٤ .

(٢) انظر : تفسير القاسمي ج ١٧ ص ٣٢٢٠ ، تفسير أبي السعود ج ٩ ص ١٨٢

ففى التكرار والإظهار مزيد فضل وشرف وتأكيد للتعظيم والتفخيم ما لا يخفى .

قال الشيخ ابن عاشور [1] : " وإظهار لفظ (**ليلة القدر**) فى مقام الإضمار للاهتمام ، وقد تكرر اللفظ ثلاث مرات والمرات الثلاث ينتهى عندها التكرير غالبا كقوله تعالى : ﴿ **وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب** ﴾ [2].

الإعــــراب :

إعراب قوله تعالى : ﴿ **وما أدراك ما ليلة القدر** ﴾ [3].

(ما) فى موضع رفع بالابتداء ، و (أدراك) فعل ماضى فى موضع الخبر والكاف فى موضع نصب .

(ما ليلة القدر) مبتدأ وخبره .

---

(١) انظر : التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٤٥٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٧٨ .

(٣) الآية رقم ٢ من سورة القدر وانظر : الإعراب فى كتاب إعراب القرآن لأبى جعفر ابن اسماعيل النحاس ج ٥ ص ٢٦٩ .

خامساً : تفسير الآية الرابعة :

﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾

ـ فائدة التعبير بالفعل المضارع (تنزل) ·

ـ أصل كلمة (تنزل) ·

ـ أقوال العلماء فى مكان نزول الملائكة ·

ـ سبب نزولهم إلى الأرض ·

ـ أقوال العلماء فى المراد بالروح ·

ـ عصمة الملائكة ·

ـ المراد بالإذن فى الآية ·

ـ حكمة التقييد بالإذن ·

ـ وجه تنزيل الملائكة ·

ـ أقوال العلماء فى (من) ·

خامسا : الآية الرابعة :

قوله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ .

هذا هو البيان الثانى لما فى قوله تعالى : ﴿ وما أدراك ما ليلة القدر ﴾ من الإبهام التفخمى حصل منهما ما يدل على أن الله جعل مثل هذه الفضيلة لكل ليلة من ليالى الأعوام تقع فى مثل الليلة من شهر نزول القرآن كرامة له ولمن نزل عليه وللدين الذى نزل فيه وللأمة التى تتبعه .

فائدة التعبير بالفعل المضارع :

إن التعبير بالفعل المضارع فى قوله تعالى : ﴿ **تنزل الملائكة** ﴾ مؤذن بأن هذا التنزيل متكرر فى المستقبل بعد نزول هذه السورة .

ويقول العلماء [1] إن أصل كلمة ﴿ **تنزل** ﴾ تتنزل فحذفت التاء لاجتماع تاءين .

وأن الجملة القرآنية : ﴿ **تنزل الملائكة والروح فيها** .. ﴾ جملة مستأنفة مبينة فضلها على تلك المدة المتطاولة .

---

(١) انظر : إعراب القرآن لأبى جعفر ابن اسماعيل النحاس ج ٥ ص ٢٢٨ ، التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٤٦١ .

ويقول الإمام الشوكانى [1] : " إن الجملة مستأنفة مبينة لوجـــه فضلها موضحة العلة التى صارت بها خيراً من ألف شهر ٠

أقوال العلماء فى مكان نزول الملائكة :

يقول الإمام الفخر الرازى [2] : إن قولـــه تعـــالى : ﴿ **تـــنزل الملائكة** ﴾ يقتضى ظاهره نزول كل الملائكة ٠

ثم قال : إن الملائكة لهم كثرة عظيمة لا تحتمل كلـــهم الأرض لذلك اختلف العلماء فى مكان نزولهم :

القول الأول : أنها تنزل بأسرها إلى السماء ، فإن قيل الإشكال ما زال باقيا لأن السماء مملوأة بسكانها من الملائكة فأيضـــا كيـــف تسع السماء الواحدة كل الملائكة ؟

والجواب على ذلك : أنهم ينزلون فوجا فوجـــاً ، فمـــن نـــازل وصاعد كأهل الحج فإنهم على كثرتهم يدخلون الكعبة بالكلية لكـــن الناس بين داخل وخارج ، ولهذا السبب مدت إلى غاية طلوع الفجر فلذلك ذكر بلفظ (تنزل) الذى يفيد المرة بعد المرة ٠

القول الثانى : وهو الأوجه وعليه أكثر العلمـــاء أن نزولـــهم يكون إلى الأرض ويستندون إلى أن الغرض مـــن نزولـــهم هـــو الترغيب فى إحياء هذه الليلـــة ، ولأن الأحـــاديث دلـــت علـــى أن

---

(١) انظر : فتح القدير ج ٥ ص ٤٧٢ ، وتفسير أبو الســـعود ج ٩ ، ص ١٨٣ ، الألوسى ج ٣٠ ، ص ١٤ ٠

(٢) انظر : التفسير الكبير ج ٣٢ ص ٣٢ ، ٣٣ ، وانظر الأساس فـــى التفســير م١١ج ص ٦٦١٥ وفتح القدير ج ٥ ص ٥٧٣ ٠

الملائكة تتنزل من السماء فى سائر الأيام ليشهدوا مجـــالس الذكـــر والعلم فمن الأولى أن يحصل ذلك فى ليلة القدر ٠

كما أنهم استدلوا بأن النزول المطلق لا يفيد إلا الـــنزول مـــن السماء إلى الأرض ٠

سبب نزولهم إلى الأرض :

اختلف من قال بنزول الملائكة إلى الأرض على وجوه منها :

الأول : أنهم ينزلون إلى الأرض ليشاهدوا عبادة البشر وجدهـم واجتهادهم فى الطاعة ٠

الثانى : أنهم كانوا مأمورين بـــالنزول إلـــى الأرض قـــالوا : ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك** ﴾ [١] فلا يدل على غاية المحبة أما قوله تعالى : ﴿ **بإذن ربهم** ﴾ فالآية دالة على أنهم استأذنوا ربـــهم أولاً فأذنوا وبذلك يدل على غاية المحبة ، لأنهم كـــانوا يرغبـــون إلينـــا ويتمنون لقاءنا ، ولكن كانوا ينتظرون الإذن ٠

الثالث : أنه تعالى وعد فى الآخرة بدخول الملائكة قال تعالى : ﴿ **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم** ﴾ [٢] وفـــى الدنيا إن اشتغل العبد بعبادة الله نزلت الملائكة عليه حتـــى يدخلـــوا الملائكة للتسليم والزيارة روى عن على ــ عليه الســـلام ــ أنـــهم

---

(١) سورة مريم الآية ٦٤ ٠

(٢) سورة الرعد جزء من الآية ٢٣ وجزء من الآية ٢٤ ٠

ينزلون ليسلموا علينا وليشفعوا لنا فمن أصابته التسليمة غفـــر لـــه ذنبه " ٠

الرابع : أن الله تعالى جعل فضيلة هذه الليلـــة فـــى الاشـــتغال بطاعته فى الأرض فهم ينزلون إلى الأرض لتصير طاعاتهم أكـــثر ثوابا ٠

الخامس : أن الإنسان يأتى بالطاعات والخيرات عند حضـــور الأكابر من العلماء والزهاد أحسن مما يكون فى الخلوة فالله تعـــالى أنزل الملائكة المقربين حتى إن المكلـــف يعلـــم أنـــه إنمـــا يـــأتى بالطاعات فى حضور أولئك العلماء الزهـــاد فيكـــون أتـــم وعـــن النقصان أبعد ٠

السادس : تنزيل الملائكة إلى الأرض لأجل البركـــات التـــى تحفهم ٠

أقوال العلماء فى المراد بالروح:

قوله تعالى : ﴿ **والروح** ﴾ اختلف العلماء فى المراد بـــالروح فى الآية على ثمان أقوال أصحها أن المراد بـــها : جـــبريل عليـــه السلام ، وتوضيح الأقوال على النحو الآتى :

الأول : أنه ملك عظيم قوى ٠

الثانى : صنف من الملائكة هم أشرافهم لا تراهم الملائكـــة إلا فى هذه الليلة ٠

الثالث : جند من جنود الله .

الرابع : خلق من خلق الله يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الإنس ولعلهم خدم أهل الجنة .

الخامس : يحتمل أنه عيسى ـ عليه السلام ـ لأنه اسمه روح القدس ، ينزل ليطلع على أمة محمد ﷺ .

السادس : أنه القرآن ، قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ﴾ (١).

سابعا : الرحمة : ﴿ **ولا تيأسوا من روح الله** ﴾ (٢) كأنه تعالى يقول الملائكة ينزلون رحمتى تنزل فى أثرهم فيجدون سعادة الدنيا وسعادة الآخرة .

الثامن : هو جبريل ـ عليه السلام ـ وهو أصح الأقوال (٣).

ويذكر المفسرون أن السبب فى تخصيص جبريل ـ عليه السلام ـ بالذكر مع أنه من الملائكة ، أنه من عطف الخاص على العام وذلك لزيادة شرفه وعلو مكانته ولأنه ملك الوحى الذى شرف بالنزول بالقرآن على سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ .

---

(١) سورة الشورى الآية ٥٢ .

(٢) سورة يوسف الآية ٧٨ .

(٣) انظر : الإمام الألوسى ج ٣٠ ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، والبحر المحيط ج ١٠ ص ٥١٥ ، فتح القدير ج ٥ ص ٥٧٣ ، وأبو السعود ج ٩ ص ١٨٣ ، والفخر الرازى ج ٣٢ ص ٣٣ ، والبغوى ج ٤ ص ٤٧٩ .

عصمة الملائكة : استدل العلماء بهذه الآيـــة ومثيلتـــها علـــى عصمة الملائكة فقول المولى عز وجل ﴿ **بإذن ربهم** ﴾ ونظـــيره ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك** ﴾ [١] وقوله ﴿ **لا يسبقونه بالقول** ﴾ [٢] إشارة إلى أنهم لا يتصرفون تصرفا مـــا إلا بإذنـــه فـــهم عبـــاد مخلصون ﴿ **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون** ﴾ [٣].

قوله تعالى : ﴿ **بإذن ربهم** ﴾ ٠

وفى تنزيل الملائكة فى هذه الليلة كرامة أكرم الله بها المؤمنين بأن أنزلهم جماعات ومعهم جبريل ملك الوحى ليذكرنا بأول ليلـــة نزل فيها جبريل بالقرآن الكريم ٠

موكب بهجة وفرح ، موكب فضل وكرم لإحياء هـــذه الليلـــة المباركة ٠

المراد بالإذن فى الآية :

قوله تعالى : ﴿ **بإذن** ﴾ أى بأمر ، لذلك قـــال المفســـرون إن قوله تعالى : ﴿ **بإذن ربهم** ﴾ إما أن يكون متعلق [٤] :

---

(١) سورة مريم الآية ٦٤ ٠

(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٧ ٠

(٣) سورة التحريم جزء من الآية ٦ ٠

(٤) انظر : تفسير أبى السعود ج ٩ ص ١٨٣ ، الألوسى ج ٣٠ ص ١٩٦ ، فتـــح القدير ج ٥ ص ٥٧٢ ، والتحريـــر والتنويـــر ج ٣٠ ص ٤٦٣ ، وإعـــراب القرآن لأبى جعفر ابن اسماعيل النحاس ج ٥ ص ٢٢٨ ٠

١ ـ بقوله تعالى : ﴿ **تنزل** ﴾ ويكون ذلك إما بمعنى :

أ ـ السببية أى يتنزلون بسبب إذن ربهم لهم فى النزول فالإذن بمعنى المصدر .

ب ـ وإما أن تكون بمعنى المصاحبة ، أى مصاحبين لما أذن به ربهم فالإذن بمعنى المأذون به من إطلاق المصدر على المفعول نحو ﴿ **هذا خلق الله** ﴾ [1].

٢ ـ أو متعلق بمحذوف هو حال من فاعله أى متلبسين بإذن ربهم أى أمره .

ويكون المعنى : أن الملائكة تنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل.

حكمة التقييد بالإذن : لتعظيم أمر تنزلهم ، ولبيان أن نزولهم كان رغبة من الملائكة لتشوقهم لرؤية أهل الأرض وهم يتعبدون يدعون ويصلون فيكون النزول مشمولاً بالإذن والسماح لهم ، وبالحب لمقابلة أهل الأرض ، فيكون فيه نوع ترغيب فى الاجتهاد والطاعة .

وجه تنزيل الملائكة :

إن نزول الملائكة كان عبادة فكأنهم قالوا : ما نزلنا إلى الأرض إلا لأجل كل أمر فيه مصلحة المكلفين .

---

(١) سورة   الآية .

لذلك عم الأمر ليشمل خير الدنيا والآخرة بيانا بأن نزولهم فيه خير الدنيا والآخرة [1].

يقول الإمام الفخر الرازى [2] : إن الملائكة والروح تنزل من أجل كل أمر ، والمعنى أن كل واحد منهم إنما نزل لمهام آخر . ثم ذكر ثلاثة أوجه فى ذلك :

الوجه الأول : أنهم كانوا فى أشغال كثيرة فبعضهم للركوع ، وبعضهم للسجود ، وبعضهم لالدعاء ، وبعضهم لإدراك فضيلة الليلة أو ليسلموا على المؤمنين .

الوجه الثانى : وهو قول الأكثرين من أجل كل أمر قدر فى تلك السنة من خير أو شر .

الوجه الثالث : وهو قراءة البعض ﴿ **من كل امرئ** ﴾ أى من أجل كل إنسان ، وروى أنهم لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلموا عليه وقيل (امرئ) المراد بها الملائكة [3] .

أقوال العلماء فى ﴿ من ﴾ :

قوله تعالى : ﴿ **من كل أمر** ﴾ :

للعلماء [4] أقوال فى ﴿ **من** ﴾ فمنهم من قال :

---

(١) انظر : الألوسى ج ٣٠ص ١٩٦ ، وفتح القدير ج ٥ ص ٥٧٢ ، والأساس م١١ ص ٦٦١٥ .

(٢) انظر : التفسير الكبير ج ٣٢ ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) انظر : البحر المحيط ج ١٠ ص ٥١٥ .

(٤)انظر : تفسير البحر المحيط ج ١٠ ص ٥١٥ ، فتح القدير ج ٥ ص ٥٧٢ ، وتفسير أبى السعود ج ٩ ص ١٨٣ ، والألوسى ج ٣٠ ص ١٩٥ .

١ ــ إن (من) بمعنى اللام التعليلية وهى متعلقة بتــنزل أى مــن أجل كل أمر أراد الله قضاءه بتسخيرهم ٠

٢ ــ إن (من) بمعنى الباء أى تنزل بكل أمـــر أى مــن الخــير والبركة ، وقيل من الخير والشر ، مثل ما فى قولـــه تعـالى : ﴿ **يحفظونه من أمر الله** ﴾ [١] أى بأمر الله وهــذا إذا جعلــت باء(بإذن ربهم) سببية ٠

٣ ــ أن من بيانه أى تبيين الإذن من قوله تعالى : ﴿ **بإذن ربهم** ﴾ أى بإذن ربهم الذى هو فى كل أمر ٠

ويقول الشيخ ابن عاشور [٢] : ولفظ (كل) مستعملة فى معنى الكثرة للأهمية ، أى فى أمور كثيرة عظيمـــة ٠ كقولـــه تعــالى : ﴿ **ولو جاءتهم كل آية** ﴾ [٣] ٠

وتنوين أمر : للتعظيم أى بأنواع الثواب على الأعمال فى تلــك الليلة فالأمر هنا مطلق ليشمل الكل٠

---

(١) سورة الرعد جزء من الآية ١١ والتحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٤٦٤ ٠

(٢) انظر : التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٤٦٤ ٠

(٣) سورة يونس جزء من الآية رقم ٩٧ ٠

سادساً : الآية الخامسة :

﴿ سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾

ـ إعرابها ·

ـ معنى قوله تعالى : ﴿ سلام ﴾ ·

ـ بيان معنى ﴿ سلام هى ﴾ ·

ـ المقصود من الغاية فى قوله تعالى : ﴿ حتى مطلع الفجر ﴾ ·

ـ بيان القراءة فى ﴿ مطلع ﴾ ·

الآية الخامسة : قوله تعالى :

﴿ سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ ٠

إعرابها (١) :

سلام : مرفوع خبر مقدم ٠

هى : مبتدأ مؤخر ٠

حتى : للغاية ٠

مطلع : إما أنها اسم زمان ـ وقد صرحوا أنه من يفعل ويفعل بفتح العين وضمها على مفعل مفتوح العين ٠

ـ أو أنها مصدراً ميمى بمعنى الطلوع ويحتاج إلى تقدير مضاف قبله هو وقت أو ما فى معناه ٠

معنى قوله تعالى : ﴿ سلام ﴾ :

السلام هو الأمن والسلامة ، وقد أخبر المولى عز وجل عنها بالسلام نفسه للمبالغة فى أنه لم يشبها كدر ، بل فرج الله فيها عن نبيه كل كربة وفتح له فيها سبل الهداية فأنا له بذلك ما كان يتطلع إليه ، الأيام والشهور الطوال ٠

فهى ليلة سالمة من كل شر وأذى ٠

---

(١)انظر : إعراب القرآن لأبى جعفر بن إسماعيل النحاس ج ٥ ص ٢٦٨ ، وتفسير الإمام الألوسى ج٣٠ص ١٩٧ ، والبحر المحيط ج١٠ص٥١٥ ٠

يقول الإمام أبو حيان [1] : أى هى سلام جعلها سـلاما لكـثرة السلام فيها . قيل : لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلموا عليه فـى تلك الليلة . وقال منصور والشعبى : سلام بمعنى التحية ، أى تسلم الملائكة على المؤمنين .

وذكر الشيخ ابن عاشور [2] : تنكـير ﴿ **سـلام** ﴾ : للتعظيـم وأخبر عن الليلة بأنها سلام للمبالغة لأنه إخبار بـالمصدر وتقـدم الخبر على المبتدأ ﴿ **سلام هى** ﴾ لإفادة الاختصاص أى ما هى إلا سلام .

والقصر ادعائى لعدم الاعتداد بما يحصل فيها لغير الصـائمين القائمين ، ثم يجوز أن يكون ﴿ **سلام هى** ﴾ مراداً به الإخبار فقـد ويجوز أن يراد بالمصدر الأمر ، والتقدير : سلموا سلاما فالمصدر بدل من الفعل وعدل على نصبه إلى الرفع ليفيد التمكن مثل قولـه تعالى : ﴿ **قالوا سلاما قال سلام** ﴾ [3] والمعنى : اجعلوها سـلاما بينكم ، أى لا نزاع ولا خصام .

ذكر الشيخ أبو جعفر النحاس [4] أن معنى ﴿ **سلام هى** ﴾ :

---

(١) انظر البحر المحيط ج ١٠ ص ٥١٥ .

(٢) التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٤٦٥ .

(٣) الآية رقم (٢٥) من سورة الذاريات .

(٤)اعراب القرآن ج ٥ ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

لا تعمل فيها الشياطين وروى عن ابن عباس قال تصفد فيها مردة الشياطين ٠

ـ ولا يجوز فيها السحر ولا يحدث فيها شئ إلى الفجر ٠

ـ تقبل فيها التوبة ٠

ـ يقضى فيها الخير من الأرزاق والحج ، والشر يقضى فى غيرها ٠

وخلاصة القول : أن قوله تعالى ﴿ **سلام** ﴾ على ليلة القدر تعنى كل خبر لأن السلام تحية وهى تحية أهل الجنة ففيها الأمن والطمأنينة والمحبة اللهم اجعلنا ممن يحبون السلام ويسعون إليه فى الأرض لتكون تحيتهم فى الآخرة سلام ٠

قوله ﴿ **هى** ﴾ على الليلة المرادة ، وهى ليلة القدر لذلك قال بعض المفسرين [1] أن ﴿ **هى** ﴾ إشارة إلى أنها سبع وعشرين من الشهر لأنهم عدو الكلمات فكانت إلى نهاية ﴿ **هى** ﴾ سبع وعشرين حرفاً ٠

قوله تعالى : ﴿ **حتى مطلع الفجر** ﴾

ذكر المفسرون أن قوله تعالى : ﴿ **حتى مطلع الفجر** ﴾ غاية لما قبله من قوله ﴿ **تنزل الملائكة** ﴾ إلى ﴿ **سلام هى** ﴾ والمقصود من الغاية : إفادة أن جميع أحيان تلك الليلة معمورة بنزول الملائكة

---

(١) انظر تفسير البحر المحيط ج ١٠ م ٣٣ ص ٥١٦ ٠

والسلامة ، فالغاية هنا مؤكدة لمدلول ﴿ **ليلة** ﴾ لأن الليلة قد تطلق على بعض أجزائها كما فى قول النبى ﷺ : " من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه " (١) أى من قام بعضها فقد قال سعيد بن المسيب : من شهد العشاء من ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها ، يريد شهدها فى جماعة كما يقتضيه فعل شهد فإن شهود الجماعة من أفضل الأعمال الصالحة ويدل حرف حتى : لإدخال الغاية لبيان أن ليلة القدر من غياب الشمس إلى طلوع الفجر ٠

وتكون صلاة الفجر واقعة فيه وهذه توسعة من المولى عز وجل فى امتداد الليلة إلى ما بعد طلوع الفجر ليطول ما فيها من خيرات ومن تنزل الملائكة لأنها خير من ألف شهر ٠

قوله تعالى : ﴿ **مطلع** ﴾ : بيان القراءة فى ﴿ **مطلع** ﴾

اختلفت القراءة فى قوله تعالى ﴿ **مطلع** ﴾ ٠

ـ فقرأت بفتح اللام بمعنى ـ حتى طلوع الفجر ـ تقول العرب طلعت الشمس طلوعا ومطلعا ٠

ـ وقرأت بكسر اللام ـ حتى مطلع الفجر ـ توجيها منهم ذلك إلى الاكتفاء بالاسم عن المصدر وهم ينوون بذلك المصدر ٠

---

(١) سبق تخريجه ٠

ويرجح الإمام الطبرى [1] الفتح فيقول : والصواب من القــراءة فى ذلك عندنا فتح اللام لصحة معناه فى العربية وذلك أن المطلـــع بالفتح هو الطلوع و المطلع بالكسر هو الموضع الذى تطلع منه ولا معنى للموضع الذى تطلع منه فى هذا الموضع ٠

وقيل : بالفتح اسم مكان ، وبالكسر المصدر ، وقيل العكــس [2] وبالكسر هى لغة أهل الحجاز ، وبالفتح عند بنى تميم ٠

وقال الشيخ أبو جعفر بن إســـماعيل النحــاس [3] إن بعــض الأشياء تأخذ من العرب سماعا من غير قياس ٠

قالوا : مطلع للمكان الذى تطلع فيه الشمس ، وقال بعضــــهم : مطلع للمصدر والفتح أولى لأن الفتح فى المصدر قد كـــان لفعــل يفعل فكيف يكون فى فعل يفعل وأيضا فإن قراءة الجماعــة الذيــن تقوم بهم الحجة ﴿ **حتى مطلع** ﴾ هذا فى قوته فى العربية وشـــذوذ الكسر وخروجه من القياس ٠٠٠

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ج ٣٠ ص ١٦٨ ٠

(٢) انظر : فتح القدير ج ٥ ص ٥٧٢ ٠

(٣) اعراب القرآن لأبى جعفر محمد بن اسماعيل النحاس ج ٥ ص ٢٧٠ ٠

سابعا :

أ ـــ الوجوه البلاغية فى السورة ٠

ب ـــ أغراض السورة ٠

جـــ ـــ المعنى الإجمالى لسورة القدر ٠

أ ـ الوجوه البلاغية فى السورة ٠

القرآن الكريم بلغ غاية الفصاحة والبلاغة وقد تحدى به المولى عز وجل ملوك البلاغة والفصاحة ، فأقروا بعجزهم على محاكاته والإتيان بمثله قال الوليد بن المغيرة : " إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه " ٠

وسورة القدر تضمنت وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلى :

١ ـ الاطناب بذكر ليلة القدر ثلاث مرات قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر** ﴾ وقوله : ﴿ **وما أدراك ما ليلة القدر** ﴾ وقوله : ﴿ **ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ ، وذلك زيادة فى الاعتناء بشأنها ، وتفخيما لأمرها وبيان منزلتها وقدرها ٠

٢ ـ فى قوله تعالى : ﴿ **وما أدراك ما ليلة القدر** ﴾ استفهام الغرض منه التفخيم والتعظيم ٠

٣ ـ فى قوله تعالى : ﴿ **تنزل الملائكة والروح** ﴾ فيه ذكر للخاص بعد العام فقد ذكر المولى عز وجل الروح وهو جبريل عليه السلام بعد ذكر الملائكة عامة لينبه على جلاله قدره وعظيم شأنه ٠

٤ ـ توافق الفواصل مراعاة لرؤوس الآيات مثل (القدر ، شهر ، أمر ، الفجر) وهو من المحسنات البديعية اللفظية ٠

والله أعلم بالصواب ٠

ب ـ أغراض سورة القدر ٠

ـ التنويه بفصل القرآن الكريم وعظمتِه بإسناد إنزاله إلى الله تعالى ٠

ـ الرد على الذين جحدوا أن يكون القرآن منزلاً من المولى عز وجل وقولهم إنه أساطير الأولين ، أو كلام بشر تعلمه محمد ﷺ على يد معلم وغير ذلك من أقوال لا أساس لها من الصحة ٠

ـ رفع شأن الوقت الذى نزل فيه القرآن وهو ليلة القدر ٠

ـ أن ليلة القدر ليلة مباركة تنزل فيها الملائكة ٠

ـ أخبرنا رسول الله ﷺ أن شهر رمضان شهر غفران للذنوب يقول ﷺ : " من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه " (١) وليلة القدر ليلة مباركة من هذا الشهر ٠

ـ تفضيل الليلة التى توافق ليلة إنزاله من كل عام ٠

ـ تحريض المسلمين على انتظار ليلة القدر واستقبالها بالعبادة والقيام والتصدق وكل وجوه الخير ٠

---

(١) سبق تخريجه٠

المعنى الإجمالى لسورة القدر

تبدأ السورة الكريمة بالحديث عن إنزال القرآن الكريم ، الكتاب الخاتم الخالد معلنا للبشرية جمعاء أنه نزل فى ليلة مباركة ليلة فرح وبهجة ليلة بدء نزول الوحى من السماء إلى الأرض ليلة بدء نزول القرآن على قلب خاتم الأنبياء والرسل .

ليلة الحدث العظيم ليلة نزول القرآن تزفه الملائكة يتقدمهم جبريل عليه السلام .

والليلة التى تتحدث عنها السورة ، هى ليلة القدر التى جاء ذكرها فى سورة الدخان [1] قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة مباركة** ﴾ وكما ورد فى سورة البقرة [2] ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن** ﴾ .

واختلف العلماء فى تعيين هذه الليلة وأرجح الأقوال أنها تختلف من عام لعام وأنها فى شهر رمضان ، وفى العشر الأواخر الفرادى منه ، وتوضح الآيات أن الإحاطة بفضل هذه الليلة لا يستطيع الإنسان أن يدركه وأن العبادة فى هذه الليلة تعدل فى فضلها أكثر من ألف شهر ليس فيه ليلة قدر .

---

(١) سورة الدخان الآية ١٣ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٥ .

يقول الإمام سيد قطب [1] : " والليلة من العظمة بحيث تفـــوق حقيقتها حدود الإدراك البشرى " ٠

ثم تبين لنا الآيات أن من فضائل هذه الليلـــة نـــزول الملائكـــة ومعهم جبريل عليه السلام ليشاهدوا عبادة المؤمنين فى هذه الليلـــة ويسلمون على من يخلص فى العبادة ٠

وأن نزول الملائكة كان بأمر من الله بعد الإذن لهم بالنزول من السماء إلى الأرض وهذا دليل على أن الملائكة ﴿ **لا يعصـــون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون** ﴾ [2]٠

ومن فضل هذه الليلة أنها ليلة سلام تقيد فيها الشياطين ويعـــم فيها السلام والأمن فإنها ليلة لا يشوبها كدر ولا هم ولا حزن فـــهى ليلة سالمة من كل شر وأذى ثم وضحت الآيات أن ليلة القدر تبـــدأ من غياب الشمس إلى طلوع الفجر ٠

فعلى المسلمين أن يغتنموا فضل هذه الليلة وأن يتصوروا مـــا حدث فيها أول مرة وما يحدث فيها كل مرة حتى تقوم الســـاعة ٠ فهى ليلة مستمرة تأتى كل سنة فى شهر رمضان الكريـــم ، شـــهر القرآن لتكون عيداً للمسلمين يحمدون الله فيه على نعمة الإسلام ٠

---

(١) انظر : فى ظلال القرآن ج ٦ ص ٣٩٤٥ ٠

(٢) سورة التحريم جزء من الآية رقم ٦ ٠

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وبتوفيقه تكون الخيرات والطيبات ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين ٠

وبعد ،،،،

فإنه من نعمة الله على أن هدانى إلى التدبر والاتعاظ فى ليلة هى من أشرف الليالى وهى كما وصفها الخالق سبحانه وتعالى هى **﴿ خير من ألف شهر ﴾** هذه الليلة الكريمة المباركة شرفها المولى تبارك وتعالى فى تنزيله الحكيم ـ القرآن الكريم ـ بأن جعل لها سورة كريمة تحمل اسمها وتعلن قدرها وهى سورة القدر، وكان من حسن الطالع أن جاء الشهر الكريم شهر رمضان المبارك الذى شرفه المولى تبارك وتعالى بجعل هذه الليلة فيه وأنا عاكفة على هذا العمل الكريم مع التنزيل الحكيم من خلال سورة القدر فكان من بركات هذا الشهر العظيم هذه الثمرة التى قطفتها من بستان القرآن الكريم وهى تفسير سورة القدر ٠

وكانت خلاصة ما توصلت إليه من نتائج من خلال هذه الرحلة المباركة الآتى :

١ ـ ليلة القدر نعمة أنعم الله بها على أمة محمد ﷺ ٠

٢ ـ علينا أن لا ننسى ولا نغفل ذكرى ليلة القدر ، وقد جعل لنا رسول الله ﷺ السبيل إلى ذلك ممهداً ميسراً ، وذلك بحثه ﷺ على قيام هذه الليلة من كل عام وتحربها فى العشر الأواخر من شهر رمضان ٠

٣ ـ لم تعين ليلة القدر فقد رفع المولى عز وجل معرفتها وأن هـذا الرفع كان لحكم كثيرة منها الإخلاص فى العبادة طول الشـــهر لطلبها وبالتالى تستمر الطاعات فيفـــوز المؤمـــن برضـــا الله وثوابه ٠

٤ ـ الخصام كان سببا فى رفع تعيين الليلة وقد ثبت ذلك بحديـــث رسول الله ﷺ ٠

٥ ـ الخصام والخلاف وقطع الأرحام من الأسباب التى ترفع مـــن أجلها الرحمات ٠

٦ ـ اختلفت الروايات فى تعيين ليلة القدر وأرجح الأقوال أنها ليلة سبع وعشرين ، وأرى أن ليلة القدر تختلف من عام لآخـــر ، وقد سبق أن بينت أن السبب فى ذلك هو استمرار العبادة طوال الشهر ليخرج المؤمن منه بزاد طيب يصلح حاله يوم العـــرض العظيم ٠

٧ ـ على المسلم إن رأى أو صادف ليلة القدر أن لا يتحدث عنـــها لأحد وقد استند العلماء فى هذا من حكمة إخفائها على رســـول الله ﷺ وذلك للبعد عن الرياء والسمعة والإنشغال فيما لا طائل منه من تمجيد البشر ولكن عليه أن يحمد الله ويشكره على هـذه المنفعة التى وهبها الله له ٠

٨ ـ خير دعاء فى هذه الليلة كما عَلَّمنا رسول الله ﷺ : " اللـــــهم إنك عفو تحب العفو فاعفوا عنا " ٠

٩ ـ ليلة القدر خير الليالى فى شهر رمضان وخيريتـــها لا يمكـــن للإنسان إدراكها بالكلية لقوله تعالى : ﴿ **وما أدراك مـــا ليلـــة القدر** ﴾ الآية ٢ ٠

فإن الإحاطة بخيرها أكبر من طاقة البشر ومما اخبرتنا به السورة الكريمة ما يأتى ٠

ـ العمل فيها أفضل من العمل فى ألف شهر ليس فيهم ليلة القدر ٠

ـ نزول الملائكة ومعهم جبريل عليه السلام للإحتفال بهذه الليلة معنا ولتشاهد عبادة المسلمين ٠

ـ إن ليلة القدر ، ليلة أمن وسلام حتى وقت طلوع الشمس ٠

١٠ ـ الإسلام ليس شكليات ظاهرية ومن ثم قال رسول الله ﷺ فى القيام فى هذه الليلة أن يكون " إيمانا واحتسابا " ولفظ "الإيمان " يؤكد لنا أن يتجرد الإنسان من أى شئ دنيوى وأن يكون لله وحده ، ولفظ " واحتسابا " أى يحتسب ثوابه من عند المولى عز وجل ٠

١١ ـ إن المنهج الإسلامى فى التربية يربط بين العبادة والعقيدة ويجعل العبادة وسيلة لإيضاح وتثبيت أمر العقيدة والربط بين ذكرى ليلة القدر وبين القيام فيها إيمانا واحتسابا ، هو طرف من المنهج الإسلامى الناجح القويم ٠

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ٠

أهم المصادر والمراجع

ـ أحكام القرآن ، للإمام أبى بكر أحمد بن على الرازى المعـروف بالجصاص ـ دار الكتاب العربى بيروت ـ لبنان ١٣٢٥ هـ .

ـ أسباب النزول للإمام السيوطى .

ـ أسباب النزول للواحدى وبهامشه الناسخ والمنسوخ لابن سـلام أبو القاسم هبة الله بن سلام .

ـ أسرار ترتيب القرآن للحافظ جلال الديـن السـيوطى دراسـة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا .

ـ إعراب القرآن ، لأبى جعفر بن محمد بـن إسـماعيل النحـاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ تحقيق د. زهير غازى زاهد ـ عـالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية .

ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضـاوى ، مطبعـة مصطفـى الحلبى وطبعة دار الفكر .

ـ الإتقان فى علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبـة دار التراث ـ ٢٢ ش الجمهورية ـ القاهرة .

ـ الأساس فى التفسير ، دار السلام للطباعـة والنشـر والتوزيـع والترجمة .

ـ البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بـن عبـد الله الزركشى المتوفى ٧٩٤ هـ . خرج أحاديثه وقدم له وعلـق عليه مصطفى عبد القـادر عطـا ـ دار الكتـب العلميـة ـ بيروت ـ لبنان .

ــ البيان فى غريب إعراب القرآن لابن الأنبارى .

ــ التحبير فى علم التفسير للإمام السيوطى المتوفــى ٩١١ هـــ ، حققه وقدم له ووضع فهارسه د . فتحى عبـــد القـــادر فريـــد الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربيـــة جامعـــة الأزهـــر ــ دار المنار .

ــ التحرير والتنوير ، تأليف الشيخ محمد الطاهر ابن عاشـــور ــ دار سحنون للنشر والتوزيع ــ تونس .

ــ القاموس المحيط ، طبعة الحسنية .

ــ المستدرك على الصحيحين للحاكم أبى عبد الله النيسابورى طبعة دار المعارف النظامية بالهند ١٣٤٢ هـــ .

ــ المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى تحقيـــق ســـيد كيلانى دار المعرفة ــ بيروت .

ــ الموطأ للإمام مالك بن أنس ﵁ صححه وعلق عليه محمد فـــؤاد عبد الباقى ــ دار احياء الكتب العربية ــ عيسى البابى الحلبـــى وشركاه .

ــ تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى للحافظ جلال الدين بـــن عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ــ دار الكتب الحديثة .

ــ تفسير أبى السعود ، دار احياء التراث العربـــى ــ بـــيروت ــ لبنان .

ـ تفسير ابن عطية ٠

ـ تفسير الأحكام ، لأبى بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ٠

ـ تفسير البحر المحيط فى التفسير لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الغرناطى ٦٥٤ ـ ٧٥٤ هـ ط الشيخ عرفات العشا حشوتنى ٠

ـ تفسير البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد لأبى العباس أحمد بن محمدين ١١٦١ هـ ـ ١٢٢٤ هـ تحقيق وتعليق أحمد عبد الله القرشى رسلان ـ القاهرة ٠

ـ تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل للإمام أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ٠

ـ تفسير الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

ـ تفسير الخطيب الشربينى القرآن الكريم دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان ٠

ـ تفسير الفخر الرازى ، الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام محمد الرازى فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ٠

ـ تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ٠ مكتبة التراث الإسلامى ـ حلب ـ اقيول ـ إمام جامع أسامة ٠

ـ تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى ٤٦٧ ـ ٥٣٨ ومعه كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ، للإمام ناصر الدين أحمد المنير السكندرى المالكى ـ انتشارات آفتاب طهران .

ـ تفسير النيسابورى المسمى غرائب القرآن ورغائب الفرقان تأليف نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمى النيسابورى المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ـ تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

ـ تفسير الواضح ، د . محمد محمود حجازى ـ جامعة الأزهر ـ كلية أصول الدين طبعة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

ـ تفسير لباب التأويل فى معانى التنزيل للإمام الخازن .

ـ تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد ، للشيخ سليمان بن عبد الوهاب .

ـ جامع البيان فى تفسير القرآن تأليف أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

ـ جامع الترمذى مصطفى الحلبى القاهرة ١٣٧٧ هـ .

ـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للعلامة الألوسى البغدادى ـ دار إحياء التراث العربى . بيروت ـ لبنان .

- زاد المسير فى علم التفسير للإمام أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى البغدادى ط دار الفكر .
- سنن ابن ماجه طبعة عيسى البابى الحلبى ١٣٢١ هـ .
- سنن البيهقى (السنن الكبرى) مطبعة دائرة المعارف العثمانية (حيدر أباد) ١٣٥٣ هـ .
- سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الإمام السندى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- صحيح الترمذى لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل ابن ابراهيم ابن المغيرة بن بردزيه البخارى الجعفى - دار مطابع الشعب .
- صحيح مسلم بشرح الإمام النووى - المطبعة المصرية ومكتبتها .
- صفوة التفاسير - تفسير القرآن الكريم - تأليف محمد على الصابونى ، دار الصابونى .
- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدرويش ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الإدارة العامة للطبع والترجمة - الرياض - المملكة العربية السعودية .
- فتح البارى بشرح صحيح البخارى للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى ٧٧٣ - ٨٥٢ هـ - دار المعرفة .
- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ، تأليف محمد بن على بن محمد الشوكانى - مكتبة ومطبعة البابى الحلبى وأولاده بمصر محمود نصار الحلبى وشركاه .
- فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب - دار الشروق .

ــ لسان العرب للإمام العلامة ابن منظــور ٦٣٠ ــ ٧١١ هــــ ، دار إحياء التراث العربى ــ مؤسسة التاريخ العربى ، بيروت، لبنان ٠
ــ مباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطـــان مكتبــة المعــارف ــ الرياض ــ المملكة العربية السعودية ٠
ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين على ابن أبـــى بكــر الهيثمى المتوفى ٨٠٧ بتحرير الحافظين الجليلين العراقـــى وابـــن حجر مكتبة القدس ــ القاهرة ــ باب الخلق درب سعادة ٠
ــ محاسن التأويل ، تأليف علامة الشام محمد جمال الدين القاســمى ــ دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه ٠
ــ مختارات من كتاب الرسول ﷺ فى رمضان ، تأليف أ ٠ د / محمـد المسير (جريدة صوت الأزهر) ٠
ــ مخطوط روض الأزهار فى الكلام على سورة القدر المشرفة الأنوار للشيخ عبد الحافظ على ٠
ــ مسند أحمد بن حنبل طبعة دائرة المعارف بالقاهرة ، طبعة الحلبـــى ١٣١٣ هــ ٠
ــ معانى القرآن وإعرابه للزجاج ، تحقيق عبد الجليل شلبى ٠
ــ مناهل العرفان فى علوم القرآن لفضيلة الشيخ محمد عبـــد العظيــم الزرقانى ، طبع مطبعة ــ عيسى البابى الحلبى وشركاه ٠

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٢٨٣ /٢٠٠٢

الترقيم الدولى I.S.B.N

977-348-004-6